تفسير سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

 الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان * فبأي آلاء ربكم تكذبان .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي وأثني عليك الخير كله وأصلي وأسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .... وبعد

فهذه السورة سورة الرحمن فيها ذكر أنواع من رحمة الله جل وعلا على عباده بنعمه وأصناف أنعام الله جل وعلا على المؤمنين وهذا من أسرار افتتاحها باسم الله جل وعلا الرحمن كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه . هذه المقدمة عادة ابن كثير رحمه الله أن يذكر في صدر تفسير السورة عدداً من الأحاديث والآثار التي فيها ذكر فضل السورة أو ما جاء فيها على وجه العموم من جهة سبب نزولها أو وقت تنزلها أو نحو ذلك .

أما الأثر الأول الذي ساقه وهو أن سورة الرحمن كانت في أول المفصل من مصحف ابن مسعود فالمفصل مر معك فيما سبق في أول تفسير سورة ق الخلاف من أين يبدأ المفصل لكن ذاك خلاف على ما استقرت عليه تجزئة المصاحف في أن أوله ق أو الحجرات وأما مصحف ابن مسعود فكان له

تجزئة أخرى وذلك أن السلف كانوا يجزءون المصحف يعنى أعني الصحابة إلى سبعة أجزاء فيبتدئون بالفاتحة لأنها أول المصحف ثم المائدة إلى أخره إلى أن يأتي المفصل والمفصل حزب وحده هو الحزب الأخير يختلفون في التجزئة بحسب اجتهاد الصاحب وهذا الأجزاء ليست توقيفية . يعنى هذا الأحزاب ليست توقيفية وإنما هي على ما جرت عليه عادتهم في أنهم يقرؤون الحزب الواحد من هذه السبعة في يوم فكان الذي يُريد أن يختم في سبع كما هي القراءة المعتدلة المتأنية فإنه يقرأ الحزب الواحد في يوم .

فابن مسعود رحمه الله ورضى عنه حزب المفصل عنده يبتدئ كما ذكر من الرحمن ، هذا بحسب اصطلاحه في تقسيم مصحفه ، ومصحف ابن مسعود يختلف عن المصاحف الأخرى التي أمر عثمان بإرسالها إلى الأمصار ولذلك فيه زيادات وفيه نقص بحسب الحرف الذي كان يقرأ به ابن مسعود فتقسيم الأحزاب اصطلاحي ليس متفقاً عليه في مصاحف الصحابة . ولكن جاء الأمر أو رجع الأمر بل استقر الأمر على أن يكون المفصل من سورة ق إلى آخره .

وحديث قول الجن لما سمعوا قول الله جل وعلا فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا : سبحانك لا بشيء من نعمك ربنا نكذب والرواية الثانية من حديث جابر أو من حديث ابن عمر كلها يعنى يعضد بعضها بعضا وتكون حسنة وإلا فالأولى إسنادها فيه الوليد بن مسلم وهو معروف عند أهل العلم بالتدليس وجواب الجن لا بشيء من نعمك ربنا نكذب . هذا يدل على أن وقت تنزل سورة الرحمن هو وقت ذهاب النبي

عليه الصلاة والسلام من مكة إلى الطائف بالوادي الذي يُعرف بوادي نخلة أو نحو ذلك حينما قرأ عليه السلام وسمعته الجن . وسبب جواب الجن أن الخطاب لهم وللإنس لأن قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذا خطاب لجنس الجن والإنس . والجن مكلفون فإذا كان كذلك وأثنى على جوابهم بهذا فإنه ينبغي للإنس أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا التلاوة لكن لا يُكرر هذا في الصلاة وإنما يكفي أن يقوله المتنفل مرة واحدة .

قال جل وعلا بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن . والبسملة مرت معنا فيما قبل وقررنا لك أن البسملة آية في أول كل سورة تفتح بها السور في غير براءة ولا تُعد آية من السور يعنى أنها لا تدخل في الحساب . وهى آية منقطعة وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام في سورة تبارك . سورة ثلاثون آية أنجت صاحبها من القبر تبارك الذي بيده الملك وهى بالتعداد لا تدخل فيها البسملة إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة . والصواب من أقوال أهل العلم في ذلك أن البسملة آية وليست جزءاً من آية في صدر كل سورة فهي آية مستقلة لكنها لا تدخل في العدد .

قال جل وعلا الرحمن والرحمن اسم من أسماء الله الحسنى العظيمة وهو من أسماء الجمال لله جل وعلا فهذا الاسم مشتمل على أعظم صور الرحمة وأبلغ صفات الرحمة لله جل وعلا فهو أبلغ من الرحيم في دلالته وهذا الاسم مشتمل على رحمة الله جل وعلا الواسعة التي أناطها بخلقه أجمعين كما قال سبحانه : ورحمتي وسعت كل شيء   ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً

ورحمة الله جل وعلا لا يستغني عنها شيء من خلقه لا الجامد ولا المتحرك لا ذي الروح ولا غيره فالكل محتاجون لرحمة الله جل وعلا .
فإذاً اسم الله جل وعلا الرحمن متعبد الله جل وعلا به في الدعاء كما قال ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها واسم الله الرحمن له من الآثار أعظم من كثير بل أعظم من غالب الأسماء الحسنى وذلك أن مرجع صفات الجمال وهي أكثر صفات الله جل وعلا إليه ذكر جل وعلا بعده أعظم أنواع رحمة الله جل وعلا التي أناطها بالمكلفين وابتدأ بها ليُبين عظم شان هذه الرحمة بخصوصها فقال جل وعلا الرحمن علم القرآن فتعليم القرآن هو أعظم أنواع رحمة الله جل وعلا على عباده وهو الفضل والرحمة العظيمة التي أسداها الله للعباد قال جل وعلا في سورة يونس يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين يعنى القرآن قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون   قل بفضل الله وبرحمة * فيذلك فليفرحوا يعنى بالقرآن الذي هو فضل الله جل وعلا ورحمته كما ساق ابن أبي حاتم عند الآية في تفسيره أن عمر لما أتت إبل الصدقة وكانت أو أموال الصدقة وكانت إبلاً عظيمة كثيرة قال له غلامه يا أمير المؤمنين هلم بنا ننظر إلى إبل الصدقة فذهبنا فلما أتيا إبل الصدقة وكانت كثيرة ومنظرها فيه سواء عظيم قال فرح الغلام لفرحه بالدنيا فقال : يا أمير المؤمنين . هذا فضل الله ورحمته فالتفت إليه عمر وقال له : كذبت ولكن فضل الله ورحمته القرآن : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

وهذا الذي ترى مما يجمعون فأعظم النعم في الحقيقة بل أعظم أنواع رحمة الله جل وعلا وأعظم آثار رحمة الله على عباده أن علمهم القرآن ، علمهم القرآن تلاوة ، وعلمهم القرآن حفظاً وعلمهم القرآن بقاءً لهذا الكتاب وعلمهم القرآن فيما يشتمل عليه من أحكام وأخبار فيما يجب عليهم من تصديق الأخبار ومن العمل بالأحكام لهذا قال جل وعلا الرحمن * علم القرآن وفي الواقع تعليم القرآن هو أعظم النعم مع أنه متأخر عن خلق الإنسان لكنه وإن كان يأتي بعد خلق الإنسان نعمة يعنى يأتي بعد خلق الإنسان مرتبة وجودية لكنه قبل خلق الإنسان نعمة لهذا قال سبحانه بعدها خلق الإنسان وقوله علم القرآن يعنى به تعليم النبي عليه الصلاة والسلام لأن النبي عليه الصلاة والسلام عُلمّ القرآن عُلم تلاوته وعُلمّ النبي عليه الصلاة والسلام أحكام القرآن وما فيه كان معه عليه الصلاة والسلام الكتاب والحكمة التي هي السنة يبين بها القرآن ، لهذا ذهب جمع كثير بل الأكثر من أهل العلم بالقراءات وبالتفسير أن قراءة القرآن على هذا النحو المعروف مما تلقى عن القراء بل أسانيد الصحيحة أن هذه قراءة مبناها التعلم وليست مورد اجتهاد ولهذا ذهب طائفة من أهل العلم بالقراءات إلى إيجاب التجويد لأنه سنة القراءة والله جل وعلا قال لنبيّه : فإذا أقرأناه فاتبع قرآنه يعنى فاتبع القراءة ، وهكذا تناقلها القراء عن الصحابة على هذا النحو لم يجتهد فيها القارئ فالقارئ علم الحروف وعلم الأداء ، الأداء نوع من القراءة اللي هو الأداء بعض القراءة فالأداء لا يجتهد فيه كما أن الحروف لا يجوز تغييرها ، لهذا ذهب أكثر القراء إلى أن القرآن

في طريقة تلاوته جاء عن التعليم ولهذا فيه أحكام مشروعة بالاتفاق مع أنها لا تُسمع ليس لها أثر في سماع التلاوة ومن ذلك الإشمام في نحو قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف فهذا لا أثر له في السماع ولا أثر له في القراءة لكنه تعبد خاص ، وهذا القول ، القراء في إيجاب اتباع القراءة على هذا النحو لكن ثبت عن النبي عدم الالتزام بأحكام التجويد على النحو المعروف في قراءته لبعض سورة الفتح ومدها وفي سرعة قراءته وأشباه ذلك لهذا ذهب الفقهاء لا القراء إلى أن التجويد أفضل ولكنه ليس بواجب ويكون الأمر فاتبع قرآنه أن هذا للاستحباب يعني في الأداء أما في الحروف فواجب بلا شك لكن في الأداء ذهبوا إلى أنه للاستحباب لا للإيجاب وهذا في الواقع يختلف إذا نظرت إليه من جهة أخرى ، باختلاف اللهجات باختلاف الأحرف السبعة ففي الشيء يكون الأحكام فيها مختلفة ولذلك الممدود وأحكام الإخفاء ، وأحكام النون والميم إلى آخره تختلف في بعض أحكامها ما بين قارئ وقارئ يعني القراء السبعة أو العشرة وكذلك صفة الأداء كذلك مخارج الحروف من حيث الترقيق والتفخيم ومن حيث يعني أشياء كثيرة لا مجال لذكرها يعرفها أهل الاختصاص المقصود من ذلك أن تعليم القرآن تعليم للأداء تعليم للحروف لنطق الحروف تعليم لما فيه من الأحكام تعليم لما فيه من العقيدة والنبي عليه الصلاة والسلام بلغ الجميع عليه الصلاة والسلام .
قال سبحانه يعني معنى القرآن واشتقاقه إلى آخره مر معنا فيما سبق قال بعدها جل وعلا خلق الإنسان والمقصود بالإنسان إما الجنس يعني كل

إنسان وإما آدم عليه السلام الذي عُلِمَ البيان وجُعِلَ مفصحاً عما في ضميره بأنواع البيان والنطق وهذه نعمة خاصة واثر من آثار رحمة الله جل وعلا أن جعل الإنسان ذا بيان قال علمه البيان والبيان كما سمعت قال فيه الحسن البيان : يعني النطق وقال الضَّحاك وقتادة وغيرهما يعني : الخير والشر قال : وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى وذلك يعني مأخذ تفسير ، الضَّحاك وقتادة مأخذ لغوي ، كما أن مأخذ الحسن أيضاً لغوي لأن كلمة البيان مأخوذة من البينونة ومن البين الذي هو الانفصال والافتراق ، والنطق منفصل عن الإنسان لأنه إذا تكلم بالكلمة إذا أبان عما في ضميره فقد انفصل عنه إلى غيره بعد أن كان مستكناً في ضميره ، والبيان الذي هو الخير والشر الذي هو أبين عنه وانفصل منه هو في الحقيقة بيان لأنه بائن فما دام أنه بان منه فهو بيان لأنه منفصل عنه فيعني قول الضحاك وقتادة وغيرهما ليس بغريب ولا بمضطرح لأن له مأخذاً في اللغة لكن البيان بمعنى النطق والافصاح عما في النفس ، هذا هو الصحيح في التفسير وذلك أيضاً لأن كلمة البيان في الاستعمال العرفي وفي الحقيقة العرفية أنيطت ببيان اللسان لا ما يصدر عن الإنسان بجوارحه من أفعال الخير وأفعال الشر وإنما هو بما يبين به عن نفسه ومن المتقرر في الأصول أن الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية إذا تعارضا قدمت الحقيقة العرفية ولهذا كان أكثر استعمال كلمة البيان فيما بان عن الإنسان من نطقه لا ما بان عن الإنسان من أجزائه الأخرى أو أفعاله أو ما بان عن غيره أو نحو ذلك ، وعلله ابن كثير بقوله لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو

أداء تلاوته ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين وعلى اختلاف مخارجها وأنواعها وهذا فيه تأكيد لنعمة القرآن ، والتأسيس أولى من التأكيد فالأولى أن يُجعل ذلك أثر من آثار رحمة الله جل وعلا بمعنى زائد وبشيء جديد عن تعليم القرآن ، فلا يُحمل قوله علمه البيان على علم القرآن لأن تعليم القرآن هو تعليم للبيان في نفسه بما فيه ، فقول ابن كثير هذا فيه تأكيد لما سبق والتأسيس أولى من التأكيد لأنه منفصل أيضاً بقوله خلق الإنسان ولأن تعليم القرآن نعمة خاصة بالمؤمن وأما يعني إذا أبان وتلا ونطق ، وأما تعليم البيان فهي نعمة عامة بها تكريم الإنسان الشمس والقمر بحسبان الشمس معروفة والقمر أيضاً معروف لأنها الشمس ، المقصود منها هذه الشمس والقمر المقصود منه هذا القمر ، لا نوع الشموس ونوع الأقمار ، لأن الأقمار كثيرة من حيث هي ، والشموس كثيرة من حيث هي ولكن المقصود هنا الشمس والقمر ، وحيث ما وردت في القرآن أنه الشمس المعهودة والقمر المعهود بحسبان يعني تجري بحساب جعله الله جل وعلا مُقنن لا تخرج الشمس عن هذا الحساب ولا القمر عن هذا الحساب .
 لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر * ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون أما أثر عكرمة فهذا اجتهاد منه ، وفيه أمور غيبية لا يكفي في الأخذ بها أن تكون عن أحد التابعين ، والمعروف عند الأصوليين أن قول التابعي ، أن إتيان التابعي بشيء مما لا يُدرك بالاجتهاد ولا تعمل فيه العقول

أنه بمنزلة المرسل وهذا فيما إذا لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب نكتفي بهذا القدر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً ، اللهم فقهنا في الدين وعلمنا من التأويل واجعلنا في ذلك مصيبين يا أرحم الراحمين ثم هذه السورة كما ذكرت لك قبل هي في تعداد نعم الله جل وعلا وآثار رحمته سبحانه وتعالى إذ النعم من آثار الرحمة والرحمة أثر من آثار اسم الله الرحمن ، لأن الله جل وعلا جعل رحمة من رحمته في الأرض ، فبها يتراحمون ، ورحمة الله جل وعلا وسعت كل شيء لهذا قال سبحانه وتعالى الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان فتعليم القرآن هي أعظم النعم وأعظم آثار الرحمة بما في ذلك من المصالح العظيمة الدينية في الدنيا والآخرة والدنيوية فالقرآن به سعادة الناس وسعادة العباد ، ولهذا لما أخذت به هذه الأمة جعل الله لها ذكراً في الأولين وفي الآخرين قال سبحانه وإنه لذكر لك ولقومك ثم بين سبحانه أن نعمة البيان عند الإنسان أيضاً من رحمة الله بها لأنه به تحقق وصار أهلاً لأن يكون مكلفاً وأن يكون عبداً لله جل وعلا على الاختيار قال سبحانه خلق الإنسان * علمه البيان ثم ذكر نعمة الشمس والقمر التي بدونها لا تتم حياة الإنسان فقال الشمس والقمر بحسبان فذكر الآلاء الدينية وهي القرآن وتعليم القرآن وذكر الآلاء الدنيوية في خلق الإنسان وتعليمه البيان في نفسه وهو أول ما يراه الإنسان

وذكر الآلاء التي في الآفاق ينظر إليها في السماء وهي الشمس والقمر ثم بين جل وعلا أن النجم والشجر يسجدان له فقال والنجم والشجر يسجدان والنجم اختلف فيه كما سمعت مع اتفاقهم على أن الشجر هو ما له ساق من النبات وهو أنواع كثيرة فقال إن النجم اختلف فيه السلف فمنهم من قال إن النجم هو النجم المعروف في السماء الذي يظهر ويغيب ، وقال طائفة من السلف سمعت أسمائهم أن النجم هو النبات الذي يمتد في الأرض ولا ساق له وقبل الدخول في الترجيح بين هذه الأقوال ، لابد من فهم لسبب قول من قال : إن النجم هو ما ليس له ساق من النبات ومن قال به ذهب إلى أن السياق ذكر فيه الشمس والقمر والسماء أيضاً ذكرت بعد ذلك ، وهذه كلها مرتفعة والنجم يدخل في السماء ويدخل ذكر الرحمة به في الشمس والقمر من باب الإشارة والتنبيه على الأدنى بذكر الأعلى ، لهذا نظروا إلى أن التأسيس وذكر شيء جديد أولى من ذكر شيء مكرر وخاصة أن هذه الآية فيها ذكر السجود ، والسجود لما ذكر الشجر وهو له ساق فقال حتى ما ليس له ساق ، مما هو ممتد في الأرض مما قد لا يُتصور أنه يسجد السجود الذي فيه الانحناء فإنه يسجد فلهذا قال من قال إن النجم هو الشجر الممتد في الأرض أو النبات الممتد في الأرض والشجر هو ما له ساق وقد يعظم جداً فيكون دوحة عظيمة فلهذا القول : بأن النجم هو ما يمتد في الأرض وما ليس له ساق من النبات له أساسه من اللغة وله شواهده الكثيرة من اللغة واختيار أحد التفاسير اللغوية باللفظ لأجل السياق ، هذا كثير في تفاسير السلف ، والراجح من

القولين : هو أن النجم هو النجم الذي في السماء ، ووجه الترجيح : أن النجم الذي خلقه الله جل وعلا في السماء والشجر الذي خلقه الله جل وعلا في الأرض اشتركا في السجود فهذا يمثل البعد وهذا يمثل القرب وإذا كان كذلك فإن الإنسان الذي عُلم البيان وأنعم عليه بالشمس وبالآلاء الكثيرة ورُحم فإنه لابد له من أن يسجد كما سجد ذلك الكوكب البعيد ، وكما سجدت هذه الشجرة القريبة .

والوجه الثاني من الترجيح : أن الشجر جنس والنجم جنس على هذا التفسير . والواو الأصل فيها أنها للمغايرة . لمغايرة الأجناس أو لمغايرة الذوات لا لمغاير الصفات فلهذا لما ذكر السجود . والسجود يكون للذوات كان الأنسب ان يكون هناك استقلال في ذكر جنس الساجدين وهذا هو الذي أشار إليه ابن كثير في استدلاله بآية سورة الحج حيث ذكر الله جل وعلا الأجناس فقال سبحانه : ﴿ ألم ترى أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض * والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب * ومن يهن الله فما له من مكرم * إن الله يفعل ما يشاء ﴾ فذكر أن الله جل وعلا تسجد له هذه الأجناس على اختلافها . فالشمس والقمر هذان جنسان . والنجم على بعده . والجبال أيضاً جنسان والشجر والدواب وكثير من الناس ذكر صنوف ذلك . وهذا أبلغ في ذكر معنى السجود لله جل وعلا لأن سجود النجم وسجود الشجر يعنى النجم الذي في السماء والشجر الذي في الأرض أبلغ في الدلالة والتأثير فيما يجب من سجود الإنسان طوعاً واختياراً .

الوجه الثالث من الترجيح : أن اعتبار السياق القرآني والاستعمال في القرآن أولى من إهماله . وكلمة النجم في القرآن من أوله إلى آخره جاءت بمعنى النجم الذي في السماء فأعمالها أولى من أن يؤسس في ذلك معنى جديد ولو كان له وجه في اللغة فدلت هذه الأوجه الثلاثة على أن الراجح أو الصواب أن النجم هو النجم الذي في السماء وليس المراد به النبات الذي لا ساق له الممتد في الأرض قال يسجدان وسجود النجم والشجر والشمس والقمر والجبال والدواب والسماء والأرض سجود الأشياء لله جل وعلا هو سجود حقيقي عند أهل السنة والجماعة ويجعلون سجود غير المكلفين على ظاهر سجود يصح أن يطلق عليه سجود بمعنى الكلمة . وكلمة يسجد والسجود سجود الكائنات لله جل وعلا اختلف فيه المفسرون على اختلاف مذاهبهم .

فقالت طائفة : أن السجود هو السجود الحقيقي على ما سيأتي بيانه وقال آخرون وهو مذهب الأشاعرة وجماعات أيضاً من غيرهم وأظنه مذهب المعتزلة . أن السجود معناه ظهور آثار الصنعة فيها الذي من أجله إذا تأمله المتأمل سجد لله جل وعلا وهذا لا شك أنه فيه صرف للفظ عن الظاهر والتفسير بشيء لا قرينة له تمنع منه .

القول الأول : هو الصواب وهو الذي عليه السلف وأئمة الإسلام من أن السجود سجود حقيقي . ولفظ السجود مما اختلف فيه الاستعمال فاستعمل السجود في المعنى اللغوي . واستعمل السجود في معنى عرفي . واستعمل السجود في معنى شرعي . أما المعنى اللغوي وكل هذه حقيقة .

الأول : حقيقة لغوية .
الثاني : حقيقة عرفية .
والثالث : حقيقة شرعية فمعنى السجود في الحقيقة اللغوية هو أن هذه الأشياء خاضعة لله جل وعلا مطيعة ذليلة له سبحانه أو تقول السجود في اللغة هو الخضوع والذل والتطامن لمن سُجِدَ له . وأما الحقيقة العرفية فإن السجود هو التعظيم والخضوع والتطامن بنوع من الوصف وهو الركوع أو وضع الجبهة على الأرض فكل ما كان فيه انحناء في العرف عُرف العرب يقال له سجود وهذا أخص من المعنى الأول ثم المعنى الثالث للسجود . أن السجود جاء في الشرع يعنى في شريعة الإسلام بزيادة تخصيص على المعنى العرفي . وهو أن السجود هو تعظيم الله جل وعلا والخضوع له والتطامن بوضع الجبهة والأنف على الأرض . بهذا اختلف الذين قالوا : إن السجود حقيقي على هذه الأقوال الثلاثة فمنهم من قال بالأول . وهو اللغوي . وقال به جماعات من علماء السنة وأيضاً من الأشاعرة ومن غيرهم يعنى تجدوا هذا القول كثير عند المفسرين من أن السجود خضوع هذه الأشياء لله جل وعلا وذلها وتطامنها له سبحانه وتعظيمها لربها جل وعلا . ومنهم من قال : أن السجود لمّا كان منقسماً إلى هذه الأقسام الثلاثة في إيراد اللفظ فإننا نُعمل القواعد الأصولية ومنها أن الحقيقة الشرعية إذا تعارضت مع الحقيقة العرفية أو اللغوية فإننا نقدم الحقيقة الشرعية فيكون السجود هنا سجود حقيقي شرعي ، وهذا يقولون أمر غيبي لا يُعلم به كيف يكون . واستدلوا له بقول النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر ((يا أبا ذر أتدري

أين تذهب الشمس حين تغيب . قال : لا يا رسول الله قال : تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن))فقوله ((تذهب فتسجد تحت العرش)) ظاهره أن السجود حقيقي شرعي لكن الشمس والأشياء بالاتفاق ليس لها جبهة ولا أنف فيكون السجود شرعياً لكن على صفة معينة . وهذا القول رجحه عدد من أهل العلم خاصة من بعض المحققين المعاصرين ولكنه ليس بزي ظهور في أقوال السلف وإنما هو إعمال للقواعد الأصولية في المسألة الخلافية . وإذا كان المعنى الشرعي للسجود وضع الجبهة على الأرض فإن المعنى العُرفي أن الركوع أيضاً سجود كما قال جل وعلا : ادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطة أُدخلوا الباب سجّدا يعنى راكعين والركوع نوع من السجود لهذا فإن القول الأظهر من هذين القولين في إعمال الحقيقة هو القول بإعمال الحقيقة اللغوية لا بالحقيقة الشرعية يعنى أن السجود حاصل على حقيقته بخضوع الأشياء لله جل وعلا . وتعظيم هذه الأشياء لله سبحانه وتعالى وتطامنها لله وذلها بين يدي الله جل وعلا على صفة لا نعلمها كيف حقيقة هذه الصفة لا نعلمها . سجود الإنسان لما جاء في الشرع لأنه ذو جبهة وذو أنف فيكون على هذا النحو لكن كيف تسجد الأشياء لله جل وعلا الله أعلم بحقيقته بالكيفية لكن المعنى معروف بأنه خضوعها وتطامنها وذلها تعظيماً لله جل وعلا . ومن الأغلاط في تفسير السجود أن يقال للسجود . أن يقال السجود هو بمعنى نفوذ أحكام الله جل وعلا فيها ونفوذ الأحكام هذا شيء مفروض فالكل تنفذ فيه أحكام الله جل وعلا حتى الكافر . والله جل وعلا

حين ذكر السجود ميز بين سجود طائفة وعدم سجود طائفة فقال وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب يعنى فلم يسجد فنفوذ الأحكام مع أنه موجود هذا القول في بعض كتب التفسير ليس من الأقوال الجيدة أو هو غلط وبالمناسبة يجري على ذلك الكلام على تسبيح الكائنات وإن من شيء إلا يسبح بحمده   يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض . التسبيح ما صفته يجري عليه البحث نفسه فأهل السنة يقولون التسبيح على ظاهره . والأشاعرة ومن نحى نحوهم يقولون أن تسبيح الكائنات ظهور آثار الصنعة فيها . مما يجلب للمتأمل والناظر تسبيحه لله جل وعلا . ومثل ما ذكرت لله قول السلف .

وككلامهم في السجود . بأن التسبيح على ظاهره وكما جاء في الكلام ابن مسعود قال كنا نسمع تسبيح الطعام ونحن مع رسول الله عليه الصلاة والسلام نسمع تسبيح الطعام يعنى أنه يسبح على حقيقته . وهذه مرتبط بشيء كثير لكن كما قال جل وعلا ولكن لا تفقهون تسبيحهم كذلك ولكن لا تفقهون سجودهم لأن الباب باب واحد .

قال سبحانه وتعالى بعدها والسماء رفعها ووضع الميزان السماء المقصود منها واحدة السماوات السبع وسُميت سماءاً لعلوها فيقصد بالسماء الجنس يعنى جنس السماوات أو واحدة السماوات وذلك لأن الألف واللام فيها إما أن تكون للجنس فتشمل الجميع وإما أن تكون للعهد فيراد منها هذا السماء المرئية . ورفع السماء هل هو بعمد أو ليس بعمد الأكثرون على أن رفع السماء بغير عمد وقال آخرون إن وهم قلة إن رفع السماء بغير عمد تُرى

ولكن ثم عمد لكنها لا ترى . ولهذا لما قال جل وعلا ﴿ بغير عمد ترونها ﴾ اختلف المفسرون هل ترونها راجع إلى السماء يعنى ترون السماء أنها بغير عمد أو راجع للعمد أنها مرفوعة بغير عمد مرئية يعنى ثم عمد ليست مرئية . والرفع رفع السماء على الصحيح مثل ما ذكرت لك أنه بغير عمد أصلاً وأن قوله ﴿ ترونها ﴾ ورفع السماء بغير عمد لأنها مرئية تراها أنه ليس ثم عمد . وحصول الحجة لا يكون بشيء لا يُرى وإنما يكون بشيء يُرى وحصول الآية والتأمل في ذلك وقال ﴿ والسماء رفعها ﴾ يعنى بغير عمد كما ترون قال ﴿ ووضع الميزان ﴾ وضع الميزان يعنى جعل العدل . والميزان المراد به ما يُعدل به سواء أكان ميزاناً حقيقياً أو كان ميزاناً حسياً الميزان الذي يُتابع به المعروف أم كان ميزاناً توزن به الأشياء مما ليس له كفتان ولهذا قال جل وعلا : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ ﴿ أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ يعنى أنزل العدل وما يتوازن وتوزن به الأمور . من أمور مختلفة . كالحكمة ، والعقل والإدراك وغير ذلك مما يوزن به ويدخل في ذلك الميزان المعروف .

لهذا التفسير لما فسروا الميزان بالعدل التفسير العام . قالت المعتزلة إن الميزان يوم القيامة هو العدل وليس ثم ميزان حسي له كفتان لأن الأعمال لا توزن ولأنه .... إلى آخره . وهذا التفسير منهم له مستمسك كقاعدة أهل البدع في أنه لابد لهم من مستمسك إما لغوي أو شرعي لكنه ليس مستمسكاً حقاً وصحيحاً لأن الميزان صحيح أن الميزان يطلق ويراد به العدل وأن قوله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً * وإن

كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين أنه يُحتمل أن يكون الميزان هنا العدل , وأن يكون الميزان الحسي المعروف لكن في قوله جل وعلا فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم يدل على أن الميزان يثقل وهذا بينته السنة في أن الميزان له كفتان . ولهذا نقول في مسألة يوم القيامة أن الميزان غلط أن يفسر بالعدل في أي موضع جاء في الآية . بل تفسيره بالميزان المعروف الحسي وهل هو ميزان أو موازين بحث معروف في محله .

 وضع الميزان يعنى جعل الميزان بين الناس يتحاكمون إليه . أوجب الله جل وعلا عليهم العدل . وحرم عليهم الظلم فقال سبحانه بعدها : ألا تطغوا في الميزان يعنى أن لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به من العدل بل ألزموا العدل وأنتم منهيون عن الظلم بجميع أنواعه والعدل قامت عليه السماوات والأرض وأمر الله جل وعلا به أمراً مطلقاً دون استثناء وجعله أول الأوامر فقال سبحانه إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والعدل وعدم الطغيان في وزن الأمور هو أساس من أساسات برهان التوحيد لأن المرء إذا عدل عبد الله جل وعلا وحده دونما سواه . إذا عدل ولم يظلم لم يشرك بالله جل وعلا أحداً ولذلك صار الشرك ظلماً وهذا يعنى أنه ليس بالعدل فهو ظلم وهو أقبح الظلم إن الشرك لظلم عظيم فأعظم ما به يكون الطغيان في الميزان بالشرك فالذين أشركوا بالله جل وعلا وعبدوا معه ألهة أخرى طغوا في الميزان . والله جل وعلا جعل الميزان ليقوم الناس

بالقسط كما قال سبحانه لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط يعنى ليكون الناس فيما بينهم أهل عدل فينفون عنهم الظلم فيما يتحاكمون إليه وفيما يحكمون به في أمورهم المختلفة . قال سبحانه وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى أنكم إذا وزنتم فكونوا أهل عدل في الوزن ولا تخسروا الميزان يعني لا تحيفوا في ذلك أو تغشوا أو تقولوا بغير الحق والقسط وهذا يدخل فيه الموازين المعروفة يعني موازين الوزانين ، والتطفيف فيها إلى آخره ويدخل فيها ما هو أعم من ذلك كما ذكرت لك ، قال سبحانه جل وعلا بعدها والأرض وضعها للأنام .. إلى آخره وتفسيرها واضح إن شاء الله تعالى نكتفي بهذا لأننا طولنا في التعليق وقد نحتاج إلى الرجوع إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان في موضعها إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

 خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأي آلاء ربكما تكذبان * رب المشرقين ورب المغربين * فبأي آلاء ربكما تكذبان * مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام * فبأي آلاء ربكما تكذبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، المصطفى الأمين

والمبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام .....
أما بعد
فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن وممن ينتفع بتفسير كلام الله تعالى وممن يتدبر القرآن ، لأن حقيقة العلم بالقرآن إنما هي العلم بتفسير معاني كلام الله جل وعلا فإن من فاته التفسير فاته تدبر القرآن يقول الله جل وعلا في هذه السورة ، سورة الرحمن ذاكراً أنواع قدرته وأنواع مننه على عباده
 خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأي آلاء ربكما تكذبان الإنسان المراد به هنا آدم عليه السلام بأنه هو الذي تنقل خلقه بين أنواع من الطرائق والأطوار ، التي فيها خلقه من طين وتسوية صورته من الفخار ، وآدم عليه السلام خُلق على هذا الوصف يعني من الطين من جهة أن أصل التركيب الذي تركب منه بدنه هو من التراب والطين ولهذا ينحل بعد الموت وفقد الحياة ينحل إلى التراب وتختلط أجزاءه بالتراب لأن أصله منه فالله سبحانه وتعالى من عجيب صنعه أنه ابتدأ خلق الإنسان من طين كما قال سبحانه في آية السجدة وبدأ خلق الإنسان من طين وبدأ خلقه يعني خلق الإنسان من الطين ثم مرَّ بالطين هذا أنواع وأطوار حتى نفخ الله جل وعلا في هذا المخلوق فصار بشراً سوياً كما قال سبحانه فإذا سويته يعني خلقاً وتصويراً ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ومن تأمل ابتداء خلق آدم عليه السلام على هذا النحو وأن الله جل وعلا ركبه من ماء وطين ، وبعد نفخ الروح صار بشراً سوياً على هذا النحو العجيب من التركيب ،

فإنه لا شك يوقن أن الذي جعل الإنسان هكذا هو رب العالمين ، وأنه سبحانه هو الخالق ن الذي أنعم على الإنسان بخلقه في أحسن تقويم ، وأنعم عليه بأن جعله مسوى الصورة منفوخاً فيه من روح الله جل وعلا .

هذه السورة ، سورة الرحمن فيها تعداد رحمة الله جل وعلا بعباده في الدنيا والآخرة ، والنعم بأنواعها من فروع الرحمة ومن آثار الرحمة ، ولهذا كثر في هذه السورة التأكيد على الإقرار بنعم الله وعدم التكذيب بها في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان لأن الآلاء التي هي النعم من آثار رحمة الله جل وعلا بعباده ، ورحمة الله جل وعلا بعباده ، بإنعامه عليهم يكون فيما سخر لهم ويكون في أصل خلقهم ، ويكون فيما يجازيهم به في المعاد من دخول الجنة والبعد عن النار فهذه الآية فيها ذكر ما امتن الله به على نوعي المكلفين ، الإنس والجن ، فذكر أن خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، والإنسان في ابتداء خلقه يمر كما ذكرت بأطوار من الطين ومن الحمأ المسنون ومن الصلصال كالفخار اللي يقبل التشكيل ، والفخار يُشكل كما يريده من يُشكله كالحمأ المسنون ويختتم الأمر ربنا جل وعلا بأن نفخ فيه الروح ، وهذه الحالة هي عكس حالة الممات فإن الإنسان إذا قضى الله عليه الموت فأول ما يخرج منه روحه التي هي آخر ما دخلت فيه يعني من جهة خلق آدم ثم إذا كان في الأرض تقلب في أطوار قبل أن يتحلل جسده تقلب في أطوار هي عكس الأطوار الأولى حتى ينتهي إلى الطين المجرد الذي يكون في الأرض يعني ينتفخ في الأرض ينتفخ ويكون منتفخاً كالفخار ويكون مستعداً لتفتته ثم بعد

ذلك يبدأ إلى أن يُنهي الله جل وعلا الأمر وهذا فيه أوفى قوله تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده ﴾ فيه إشارة إلى المعاد ،قال سبحانه هنا ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ فالجان جمع جن جني ، والجن معروفون بأنهم خلق من خلق الله جل وعلا جعلهم مستترين عن الإنسان ، وهذا الإستتار لأجله سمَّوا جناً لأن مادة الجن في اللغة تقال لما استتر ولهذا أطلق على الملائكة بأنهم جنَّةٍ أيضاً في قوله تعالى ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ يعني الملائكة ﴿ ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون ﴾ وهذا في أحد قولي أهل التفسير في سورة الصافات ، والقول الثاني أنهم الجن المعروفون ، والجن سموا بذلك لاستتارهم عن الأعين ، أعين الإنسان ولعدم رؤيتهم خلق الجن كان قبل خلق الإنسان كانوا متقدمين وفي قول جمع من أهل التفسير أنهم كانوا يسكنون الأرض قبل الإنسان يعني ذكروا أشياء في ذلك قد يكون بعضها من الإسرائيليات المقصود أنه بقي من الجن إبليس فرفعه الله جل وعلا مكافئة له مع ملائكته كما قال سبحانه ﴿ فسجد الملائكة إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ في سورة الكهف كان من الجن يعني من الجن الذين هم في الأرض . خلق الله الجن من النار في هذه الآية قال ﴿ من مارج من نار ﴾ والمارج اختلف فيه يعنى من السلف إلى أقوال كما سمعت منها قول الضحاك عن ابن عباس أنه قال من مارج من نار الذي هو طرف اللهب وقالوا : وقال طائفة : أن المارج من النار هو لهب النار . وقال آخرون هو خالص اللهب يعنى أصله وما يشتد من اللهب وهذا الاختلاف ذكرنا لكم مراراً أن اصل الاختلاف في التفسير

راجع إلى النظر في المعنى اللغوي تارة وتارة إلى ما جاء في القرآن من الأدلة الأخرى في الموضوع نفسه وتارة بالنظر إلى السنة فتفسير الآية ينظر فيها المفسر تارة إلى الدلالة اللغوية ومن نظر إلى الدلالة اللغوية قال المارج هو طرف اللهب لم ؟ لأن طرف اللهب يهتز والمروج أو مرج الشيء يمرج فهو مارج إذا كان فيه اهتزاز ولذلك جاء في الآية التي بعدها مرج البحرين يلتقيان يعنى لأن هذا يدخل في هذا . وهذا يدخل في هذا فيكون بينهما اهتزاز ليس فبه سد واضح أن هذا نهاية الماء الحلو هو هذا . ونهاية الماء المالح هو هذا , وإنما يدخل هذا تارة ويزيد هذا تارة ونحو ذلك مما يشبه الاهتزاز في اللسان كما سيأتي فإذا نظر طائفة إلى المعني اللغوي فقالوا : المروج الاهتزاز لهذا سميت الأرض المهتزة بالنبات مروج لأجل اهتزازها بالنبات وعدم ثباتها على حالة واحدة . فهذا من أسباب الخلاف في التفسير وتعدد أقوال السلف وهى كما تعلمون من أنواع اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد لأن الأصل واحد . وهو أنهم يفسرون ما دل عليه قوله من مارج من نار مع اتفاقهم على أصل المعنى .
ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم في الصحيح عن حديث عائشة ورواه غيره ونقله ابن كثير هنا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :
((خلقت الملائكة من نور . وخلقت الجان من نار , وخلق آدم مما وصف لكم)) وفي رواية الإمام أحمد ((وخلق الجان من مارج من نار)) في هذا الحديث نفسه والمعنى متقارب فالخلق من النار قد يكون من أصلها وقد يكون من أطرفها وذكر الأئمة أئمة التفسير عند قوله تعالى أنا خير منه خلقتني من

نار وخلقته من طين أن النار فيها القوة والذكاء والاشتداد والعنفوان وأما الطين فيه الهدوء والسكينة . ولهذا صار من وصف إبليس الكبر والطيش والعجلة . وكان من وصف آدم الهدوء والسكينة والتواضع وعدم الكبر , فبين الطين والنار مفارقات في الصفات وأصل التكوين كما ذكرنا لك لما كان مختلفاً فإن صفات آدم غير صفات صفات الإنسان غير صفات الجن لأجل أن أصل التكوين مختلف فلابد أن يكون ثم مدد من أصل التكوين . وهذا طبيعة في الإنسان حتى فيما يمده به من أغذية فإنه يختلف باختلاف هذه الأغذية ولهذا صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال ((السكينة في أهل الغنم والجفاء والغلظة في أهل الإبل)) وذلك لأن صفات الإبل فيها الجفاء والغلظة ومخالفة السكينة , وأما الغنم ففيها السكينة والتؤدة والنفع ....ـ إلى آخره .

وذكروا أيضاً أن من المفارقات ما بين خلق الإنسان وخلق الجن يعنى من الطين ومن النار . أن النار تؤثر في الطين تتنوع حالة الطين بحسب ما يناله من النار لهذا جعل الله جل وعلا من تأثير الجن الخفي على الإنسان أنه يُغيره ولا شك أن تقارب الجن من الإنسان وإن لم يكن تقارباً ما بين النار والطين يعنى على الحقيقة لكن باعتبار الأصل فيه هذا المعنى , يعنى سرعة تأثير النار في الطين من جهة القسوة والغلظة والطين في أصله سهل التركيب ولين وغير طائش متماسك إلى غير ذلك من الصفات . وانظروا بقية الكلام على ذلك في أول سورة البقرة والأعراف .

قال جل وعلا بعدها ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ يعنى أيها الجن والإنس فبأي نعم الله جل وعلا الذي رباكم بهذه النعم من أصل خلقكم إلى معادكم فبأي هذه الالآء تكذبان يعنى الجنسين جنس الإنس وجنس الجن .
﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ المشرق والمغرب ما هو مكان شروق الشمس ومكان غروب الشمس والآيات ذكر فيها تارة المشرق والمغرب مفرداً وذكر تارة بالتثنية كما في هذه الآية ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ وذكر تارة بالجمع ﴿ فلا اقسم برب المشارق والمغارب ﴾ وهذا في أصله أن المشرق إذا أطلق مفرداً فيراد به الجنس يعني جنس الملكة تشرق منه الشمس وإذا ثني فيراد منه كما ذكر هنا مشرق الصيف ومشرق الشتاء يعنى أنه أخر مكان تصل إليه الشمس من جهة المشرق أو من جهة الشمال في الصيف وآخر مكان تصل إليه الشمس من جهة الجنوب في الشتاء صار مشرقين ومغربين يعنى من جهة آخر ما تصل إليه هنا وآخر ما تصل إليه هنا تكون المشارق والمغارب بين المشرقين وبين المغربين .
﴿ فبأي ءالآء ربكما تكذبان ﴾ لأن شروق الشمس وغروبها نعمة ولكن من النعم العظيمة والآلاء الجسيمية أن يكون ثم مشرقان , مشرق صيف ومشرق شتاء . وأن الشمس تنتقل من هذين وأن يكون ثم مغربان لهذا ذكر هنا ذكر الآلاء : ﴿ فبأي الآء ربكما تكذبان ﴾ ذكرها بعد ذكر المشرقين والمغربين لأن النعمة بحصول مشرق صيفي ومشرق شتاء وتنقل الشمس بين هذين نعمة ظاهرة بيّنة للإنسان فإن الشمس لو استمرت في

مكان واحد لا تنتقل عنه لكان في هذا أضرار بالإنسان وعدم حصول مصالح كثيرة له قال جل وعلا بعدها □ مرج النحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان □ مرج البحرين , مرج هذه فعل ماض فاعله الله جل وعلا يعنى مرج الله البحرين كما قال في آية الفرقان □ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج □فهو سبحانه الذي مرجها بعض الناس الذي يتصور أن مرج البحرين يعنى أن البحرين لهما شيء يسمى مرج أو نحو ذلك , وهذا المرج لا يلتقي بين هذا أو هذا كما ظنه يعنى من لم يفهم وهذا من جهة تركيب اللغة يعنى ما له أساس فقوله هنا □ مرج البحرين □ يعنى أن الله جل وعلا مرجهما كما ذكرت لك فجعل مكان اتصالها بالماء في مرج يعنى في اختلاط واهتزاز فأصل مادة المرج في اللغة تدل على عدم ثبات واختلاط كما ذكرت لك واهتزاز ونحو ذلك . ولهذا يقال للفتن والقتل هرج ومرج لأنه فيها دخول وخروج واهتزاز وعدم استقرار لا يعرف سببه والإنسان أغنى الجان . والجان خلقت من مارج كما ذكرت لك من طرف اللهيب لأجل أنه مهتز وكذلك الأرض أيضاً تصبح مروجاً إذا صارت فيها النبات يهتز ولا تثبت على حال والحاجز هو الذي بين البحرين صوروه في الصور الحديثة يعنى في نقطة اتصال البحر بالنهر إذا أتى النهر يصب في البحر فإن الله جل وعلا جعل هناك نقطة دخول البحر يدخل إلى شيء من النهر , والنهر يدفع ذلك ومستمر السيلان مستمر المشيء إلى البحر هذه النقطة نقطة الالتقاء في الدخول والخروج هي شبيهة بلهب النار في امتدادها تارة وفي انبساطها أو في اضمحلالها

تارة مثل اللهب الممتد الطويل تارة يعنى كما
صوروها بالصور من فوق لأن الموية يتضح الفرق ما
بين هذا وهذا باللون بالعمق أو بالتداخل وتارة
ينخفض ويمتد . ينخفض ويمتد فهو شبيه بمارج النار
الذي هو طرف اللهيب المهتز فالله سبحانه مرج
البحرين يعنى جعل هذا يدخل في هذا وجعل الماء
المالح يدخل قليلاً في الحلو في الأنهار . وجعل
الأنهار تصب في البحار لكن بينهما برزخ لا يبغيان
فهذا لا يبغي على هذا بحيث أن الحلو يتأثر بالمالح
وكذلك لا يبغي الحلو على المالح فيغير طعمه
فالمالح بقي مالحاً منذ خلق الله جل وعلا البحر
ومع كثرة مصب الأنهار في البحار وهذه الأنهار
الحلوة الماء دائماً تصب في البحار لكن لم تتغير
ملوحتها ولم تتأثر الكائنات الحية التي تعيش في
البحار التي سخرت للإنسان وهذا من عجائب صنع
الله جل وعلا ونعمته بعباده ورحمته بهم . أيضاً لهذا
الآية هذه فيها امتنان للعباد بقوله ﴿ مرج البحرين
يلتقيان ﴾ وقول ابن جرير الذي ساقه ابن كثير لا
شك أنه ليس بصواب كما ذكر الحافظ بن كثير لأن
المقصود بالبحرين في هذه الآية هو البحر الحلو
وهى الأنهار , والبحر المالح التي هي البحار
المعروفة قال سبحانه بعدها ﴿ يخرج منها اللؤلؤ
والمرجان ﴾ يخرج منهما يعنى من البحرين اللؤلؤ
والمرجان ومما اعتاده الناس وعرفوه بالواقع أن
البحر الحلو لا يخرج منه يعنى الأنهار والبحيرات
الحلوة لا تخرج منها اللائى والأصداف ولا يخرج منها
المرجان . ولهذا هنا سؤال معروف ومشهور عند
العلماء كيف قال هنا ﴿ يخرج منهما ﴾ مع أن الذي
يخرج منه اللؤلؤ والمرجان هو البحر المالح دون

البحر الحلو ؟ وقد ذكر ابن كثير هنا جواباً عن هذا السؤال وهو أن المُخرج إذا كان من أحدهما فإنه يصح أنه خرج منهما لأن المثنى إذا كان الفعل ينسب إلى أحد الاثنين فإنه ينسب إليهما معاً ويراد من أنه واقع من أحدهما وذكر لك الدليل على ذلك في قوله تعالى ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ﴾ في سورة الأنعام مع أن المتفق عليه عند المحققين من العلماء والأئمة أئمة الإسلام أن الجن ليس منهم رسول وليس منهم نبي . وإنما الأنبياء والرسل من الإنسان وهذا الظاهر الذي ذكر اعتراض عليه طائفة من العلماء بأنه لا يمتنع أن يكون اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحر المالح ومن الأنهار والبحار الحلوة يعنى البحيرات وأيدوا هذا بظاهر اللفظ قوله ﴿ يخرج منهما ﴾ يعنى من هذا وهذا وقوله ﴿ مرج البحرين ﴾ ثم ﴿ يخرج منهما ﴾ يدل على أن الخروج يعنى على حسب هذا القول يكون من البحرين وهذا لا يصدق عليه أنه من أحد البحرين دون الآخر وقالوا : إن آية الأنعام ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ ويعنى بها من الإنس أن هذا ليس متفق عليه لأن كلمة رسل لا يعنى بها أنها رسل من الله جل وعلا بل المنذر رسول كما قال جل وعلا في ذكر الجن الذين سمعوا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين في قوله في سورة الأحقاف ﴿ وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ والمنذر يحمل رسالة لهذا قالوا : أنه لو حتى في آية الأنعام ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ يعنى بهم النذر ولا يعنى أنهم رسل من الله

جل وعلا بل أنهم نذر ينذرون ويبشرون وكذلك آية سورة الشورى أيضاً تدخل في هذا وهى قول الله جل وعلا في ذكر السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير , وما بث فيهما يعنى في السماوات والأرض وقالت طائفة إنما الدواب إنما هي في الأرض دون السماء ونحو ذلك مما له أمثلة في هذا والذي يظهر أن ظاهر الآية هذه أن الخروج من البحرين جميعاً قد يكون الخروج من النهر , خروج اللؤلؤ من النهر أو خروج المرجان من النهر نادر ولكن فيه امتنان بأنه يحصل هذا وقد يكون في بعض الأماكن دون بعض وإن قلنا أنه من أحدهما دون الآخر كما قال ابن كثير من المالح دون غيره فهذا قول مشهور عند المفسرين وعامة أهل العلم

المرجان فسره هنا بأنه صغار اللؤلؤ أو كبار اللؤلؤ أو أنه الجوهر الأحمر اللي يسمى مرجان أيضاً وتفسيره بأنه صغار اللؤلؤ أو كبار اللؤلؤ هذا ليس بجيد لأن الله جل وعلا ذكر منته على عباده بذكر خروج نوعين من الجواهر والحلية التي يتحلون بها وهى خروج اللؤلؤ وخروج المرجان , فلو كان المرجان من جنس اللؤلؤ لصار الإنعام فيه تكرير والأصل خلافه ولهذا قال هنا يخرج منهما اللؤلؤ وهذا جنس يشمل جيد اللؤلؤ ويشمل رديء اللؤلؤ ويشمل الصغير والكبير فالمرجان ليس صغار اللؤلؤ وليس كبار اللؤلؤ وإنما هو حلية حمراء معروفة تسمى بهذا الاسم ويدل عليه أيضاً أن أصل التسمية مرجان يعنى في ترجمتها أو في تعريبها مرجان فيها المرج الذي ذكرته لك وهو الاختلاط والمرجان لونه ليس واحداً بخلاف : يعنى ليس نقياً واحداً لا شائبة

فيه لا اختلاط فيه بخلاف اللؤلؤ فإنه يعنى اللؤلؤ
الطبيعي فإنه متقارب اللون لا اختلاط فيه قال
بعدها وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام *
فبأي ءالآء ربكما تكذبان أيضاً من نعم الله ورحمته
بعباده أنه سخر لهم الجوار وهي السفن الكبيرة
المصنوعة المنشئة في البحر كأنها الجبال ولا شك
أن المنة بهذه كبيرة ولكن كيف حصلت المنة حتى
أضاف الله جل وعلا السفن هذه إلى نفسه بقوله
وله هم الذين يملكونها لكن قال وله فأضافها
إلى نفسه جل وعلا يعنى مكاً لأن حقيقة التسخير
هي منة من الله جل وعلا ابتداءً وإنتهائاً فالسفينة أو
الجواري هذه الكبيرة التي في البحر كأنها الجبال
وخاصة في الزمن الماضي التي تعتمد على
الأشرعة واتجاه الهواء إلى آخره الإنسان لم يصل
إلى صنع السفينة بنفسه وإنما أول من صنع السفينة
نوح عليه السلام بتعليم الله جل وعلا له كما قال
سبحانه وحملناه على ذات ألواح ودسر وهى
السفينة وكانت فلكاً عظيماً ركب فيها نوح ومن
معه بتعليم الله جل وعلا كما قال في سورة هود
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما
تسخرون وبصنع الفلك هم ما يدرون ايش يعمل
لأن الله أوحى إليه أن أصنع هذا وأصنع الفلك
بأعيننا ووحينا فهذه منّة أن ابتداء صنع الفلك هو
كابتداء خلق الدابة التي تركب عليها من الحمير
والبغال والجمال إلى آخره . فالجميع بابه واحد لذلك
المنة ظاهرة في ابتداء صنعها ثم في أن البحر
يحمل هذه السفينة العظيمة التي هي كالجبل ثم
أيضاً في الريح السهلة اليسيرة التي إذا قابلها

الإنسان ما ضرته لكن بتوجيه الأشرعة فإنها تحرك هذا الجسم الثقيل العظيم فإذا كل ما يتعلق بالسفن العظيمة هذه والفلك العظيمة هو من الله جل وعلا مّنة ورجمة ونعمة للإنسان ولهذا أضافها إلى نفسه جل وعلا بقوله : ﴿ وله الجواري المنشئات في البحر كأعلام ﴾ يعنى اللام هنا لام الملك له سبحانه وتعالى وهذه فيها مزيد إظهار للنعمة ومزيد تقرير لخلو الإنسان من الصنعة وأن الله جل وعلا هو الذي أنعم ويسر ذلك البحر ترمي فيه المسمار ويذهب لكن ملايين أو آلاف الكيلوات أو أكثر أو ملايينها ما تغوص في القاع البحر عجيب من جهة يعنى توزيعه في الأرض أيضاً من العجائب توزيع الماء في الأرض وكيف أنه يمكن الوصول إلى أي مكان .

النبي عليه الصلاة والسلام تصلهم بضائع الهند , المهند سيف مصنوع في الهند له صنعة خاصة ماضي وقوي كذلك يأتيهم الطيب من العود الألوّة ومن المسك ونحو ذلك من الهند هذا كيف يحمل , يحمل في البحار كذلك تأتيهم الملابس الخاصة وبعض الجلود ...الخ من أماكنها عن طريق البحار فعلى ضعف ذاك الزمان وقدرات أهله فلمّنة واضحة والنعمة عظيمة فكيف بنا في هذا الزمان اللي ما تصل الأشياء إلا عن طريق البحار والآن الإنسان يعنى يتأمل نعمة الله جل وعلا عليه بالبحر وبالريح وبهذه السفن والمراكب , ويعلم أن أكثر الأشياء التي بين يديك الآن ما تنقل بالسيارات ولا بالطائرات بإيش ؟ إنما هي بالسفن فقوله سبحانه هنا ﴿ وله الجواري المنشئات في النحر كأعلام ﴾ فيه أيضاً تذكير بالنعمة نعمة ما تنقله هذه السفن وهذه الفلك وهذه الجوار العظيمة التي تنقل الأشياء التي

يعيشها الإنسان الآن لو توقفت السفن الناس أصابهم ضرر ضرر عظيم . عظيم بل قد تهلك فئام منهم خاصة في المناطق التي ليس فيها اكتمال من جهة أسباب الحياة فنحمد الله جل وعلا على آلاءه ولا نكذب بشيء من آلاء ربنا فله الحمد سبحانه على ما أعطى وله الحمد سبحانه على ما سخر وله الحمد سبحانه على ما جعل من آلاء تسخيراً لنا ونسأله سبحانه أن يجعلنا من الشاكرين .

س :

الجوار جمع جارية كما قال في سورة الحاقة أو في سورة المعارج إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لأنها تجرى

س :

لا شك أن من وجوه إعجاز القرآن أنه اشتمل على ذكر أشياء في الخلق لم تُعرف حقائقها التامة لأكثر الناس في الأزمنة الأولى إنما ظهرت في هذا الزمان فالعرب عرب قريش بل العرب جميعاً والناس في ذلك الزمان من والروم والفرس إلى آخره ما يعرفون حقائق صنع الله جل وعلا في ملكوته في السماء والأرض في القرآن جاءت آيات كثيرة منها ذكر الأمور الكونية سواء في السماء أو في الأرض ما يتعلق بالسحاب وبالهوى وبالضغط والجاذبية ما يتعلق بالأرض بالوديان بالأشجار بالصخور بالمعادن أنواع كثيرة من ذلك في القرآن آيات كثيرة لا شك تذكر خلق الله جل وعلا لهذه الأمور أتى أهل العصر ونظروا إلى أنه مما يقوي الحجة بالقرآن على أهل هذا الزمان الذي اتسم أهله بالاهتمام بالأمور النظرية العلمية أنهم يذكرون هذه الأشياء وأن القرآن ذكر فيه هذا وأن الأمور

العلمية مسبوق الناس إليها قد ذكرت في القرآن إلى آخره والناس أهل الإعجاز العلمي أو الذين يتكلمون في المحدثات العلمية هذه ما بين متوسع جداً فيها لأدنى دلالة أو لتوهم دلالة وما بين منكر لها أو أنه يقول ليست هذه أصلاً من التفسير والحق في ذلك هو الوسط وهو أن دلالة الآية إذا كانت ظاهرة على المراد فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين فنحمل دلالته العلمية ونقول أن هذه الآية هي الدلالة لكن بشرط أن لا تناقض ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأن الصحابة لا يجمعون على خلاف الحق ، فما أجمع عليه الصحابة حجة فإذا كانت الآية محتملة وما فيه نقل كثير عن الصحابة فيها فإن تفسيرها بالأشياء العلمية لدلالة الآية الظاهرة عليها لا بأس به .

النوع الثاني : أن تكون الدلالة ضعيفة أو الدلالة غير واضحة أو محتملة فإن تفسيرها بالأشياء العلمية لا شك أنه حمل القرآن على أمور علمية لكن بدلالة ضعيفة وهذا غير صحيح هذا من جهة دلالة الآية لكن من جهة أخرى يحملون الآيات تارة على نظريات لم تثبت ، أو أنها ثبتت ولكنها باقية على أنها نظرية والنظرية لا يقطع بها ، النظرية قابلة للأخذ والرد لهذا هناك تفسيرات قديمة تغيرت طبية ونحو ذلك فسرت بها آيات ثم ظهرت في النظريات الجديدة الآن أن تلك النظريات القديمة ليست بقوية ، كما حدثني أحد الأطباء بل أنها ضعيفة ، فحمل القرآن على نظرية مجردة لم تصبح حقيقة علمية ثابتة لا مطعن فيها أو لا جدال فيها أو لا تغيير فيها فإنه أيضاً من التعدي على تفسير القرآن ، القرآن حق وما خلق الله جل وعلا في ملكوته أيضاً حق والحق

لا يناقض الحق بل يؤيده ويدل عليه والقرآن ليس كتاباً للأمور العلمية ليس كتاب فلك ولا كتاب زراعة ولا كتاب جيلوجيا ولا كتاب طب القرآن كتاب هداية كما قال سبحانه إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم   قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمنا به القرآن نزل للهداية ، لهداية الناس هذه الهداية تارة يكون من أدلتها الأمور الكونية ، خلق الله جل وعلا والتدبر فيه وما خلق الله في السماوات وما خلق الله في الأرض وأنواع ذلك فإذا كان على هذا النحو يفسر القرآن بالأمور العلمية للدلالة على إعجازه أولاً ثم ليكون المتلقى للقرآن آخذاً هدايته وقوياً في قبولها هذا لا بأس به لكن الناس مثل ما ذكرت لكم بعضهم يوغل ويزيد وبعضهم يقول لا هذه الأمور كلها يرفضها والصواب هو الوسط بين الفئتين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ....

ففي هذه السورة العظيمة سورة الرحمن يقول الله جل وعلا كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وهذه الآية فيها صفات الله جل وعلا التي هي صفات الكمال والجلال والجمال له سبحانه فقوله كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فيها أن البقاء والآخرية صفة لله جل وعلا وأن الخلق مكتوب عليها الفناء وأن كل مخلوق لابد أن يحل عليه الموت إما متقدماً ؟ أو إما متأخراً ومن عليها يعني من على الأرض كل من عليها يعني من على الأرض لابد أن يحل عليه

الفناء كما قال جل وعلا إنك ميت وإنهم ميتون والميت هو الذي سيموت أو الذي مات فعلاً ، والفناء كتب على الناس جميعاً بل على الخلائق جميعاً والفناء الذي سيحل بكل مخلوق هنا في هذه الآية جعل على من على الأرض وهذا ليس له مفهوم لأن من ليس على الأرض فإنه لن يكتب عليه الفناء وذلك لقوله بعدها ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وبقاء وجه الله جل وعلا الكريم يعني بقاء ربنا سبحانه وتعالى فكل من سوى الله جل وعلا فإنه سيحل عليه الموت كما قال جل وعلا في آية الزمر ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلى من شاء الله * ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وكذلك في قوله جل وعلا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حيث أن الله جل وعلا يسأل بعد أن أهلك وأمات ثم يجيب نفسه الكريمة له وتقدست أسمائه والاستثناء في قوله إلا من شاء الله في آية الزمر اختلف فيه العلماء على أقوال ومن أحسنها أن المستثنى هنا المراد به أرواح الشهداء فإنهم لا يصعقون لأنه قال : ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض فقوله هنا جل وعلا : كل من عليها فان ويبقى وجه ربك دليل على توحد الله جل وعلا بالبقاء ، والبقاء من صفات الله جل وعلا الذاتية إذ هو جل وعلا الأول والآخر (هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء) فالبقاء لله وحده وكل مخلوق لابد أن يحل عليه الصعق أو الموت أو الفناء وفي الآية دليل على افتقار المخلوقات لله جل وعلا ، إذ الميت لا شك أنه محتاج وأنه ضعيف وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا

نفعاً وأما قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام
 فإن المراد ببقاء الوجه هنا بقاء الرب سبحانه
وتعالى وإنما ذكر الوجه على عادة العرب في ذكرها
، الوجه وإرادتها الذات ووجه الله جل وعلا هنا صفة
من صفاته الجليلة العظيمة وإثبات صفة الوجه جاء
في آيات كثيرة كقوله جل وعلا كل شيء هالك إلا
وجهه وكقوله سبحانه وتعالى فأينما تولوا فثم
وجه الله على أحد تفسيرين وفي مثل قوله جل
وعلا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً
ولا شكورا الوجه الأول أنه ما يحصل به المواجهة
يعني فيما لو حصلت وهذا ينفي أن يكون شيئاً كليَّاً
كما هي تعبيرات أهل الكلام وإنما هو جل وعلا ذات
متصفة بصفات جليلة كريمة وفي قوله ربك
بالخطاب للنبي عليه فيه التنبيه على أن الحاجة
حاجة النبي عليه الصلاة والسلام لله جل وعلا تؤذن
بحاجة من هو دونه لأن ذكر الربوبية فيه ذكر تعلق
الخلق بالله جل وعلا فلما ذكر ضعفهم في قوله
كل من عليها فان نبه بالربوبية على أن الخلق
متعلقون بالله جل وعلا إيجاداً وعدماً وتحقيقاً
لمصلحتهم ودفعاً لما يضر هم ثم وصف وجهه
الكريم بقوله ذو الجلال والإكرام وذو بمعنى
صاحب يعني الوجه الذي صاحبه الجلال والإكرام
وهو صفة للوجه لا صفة للرب لأنه رفع قال : ذو
فتكون نعتاً لوجه : ويبقى وجه ربك ذو الجلال
وليست صفة للرب ذي الجلال والإكرام ، ومعنى
الجلال والإكرام هنا ما جاء في الحديث الصحيح أن
النبي قال في وصف الرب جل وعلا حجابه النور
لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره
من خلقه ، فالله جل وعلا حجابه النور وهو نور

وجهه نوره لو كشف الحجاب لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه والجلال في اللغة هو التعظيم مع الخوف أو التعظيم مع المهابة ولذلك نقول صفات الجلال يعني الصفات التي فيها عظمة الله وفيها كبرياؤه وفيها قهره ونحو ذلك ، فوجه الرب ذو العظمة لهذا ذكر ابن عباس تفسيرها بقوله ذو الجلال والإكرام يعني ذو العظمة والكبرياء أما الإكرام يعني من صاحبه الكرم ولا شك أن الله جل وعلا هو الكريم وأن صفات الرب سبحانه وتعالى كريمة يعنى لا تماثلها صفة بل هي البالغة في الكمال نهايته والبالغة في الجمال والجلال والكمال نهايته , وهذا معنى الإكرام يعنى البالغ في صفه هذا نهاية الكمال في الصفة وهذا يشعر أيضاً بضعف المخلوق فيما يتصف به من صفات . وأما قوله جل وعلا يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن فذكر سبحانه أنه لربوبيته وأنه هو الواحد في ربوبيته وهو المدبر لهذا الملكوت فإنه يُسئل يطلبه خلقه ما يحتاجون إليه في أمر دنياهم من صحة وسلامة وسعة رزق وولد ونحو ذلك ، وكذلك يطلبون ما فيه سلامتهم عند لقائه من مغفرة الذنب والتجاوز والعفو وغير ذلك والسؤال سؤال الرب جل وعلا من أعظم العبادات ولهذا جاء في الحديث ((من لم يسئل الله يغضب عليه)) وسؤال الرب جل وعلا محبوب له فالعبد كلما كان أذل إلى الله جل وعلا وأكثر سؤال وإلحاح في الطلب من الكريم سبحانه كلما كان أقرب إلى المولى جل وعلا وإجابة السؤال من آثار الربوبية ولهذا عمّ هنا فقال يسأله من في السماوات ومن في الأرض ومن في السماوات هم الملائكة وما شاء الله من الخلائق

ومن في الأرض هم جميع من في الأرض من المسلمين والكفار ومن الصالحين ومن العصاة ، ومن الذين سددوا ومن المجترحين للسيئات لهذا في الآيات عموم أن الجميع يسأل الرب جل وعلا والله سبحانه وتعالى يجيبهم لهذا صارت إجابة السؤال من آثار الربوبية فلا تختص بمسلم دون كافر بل الكافر يسأل ربه ويدعوه والله جل وعلا يُعطى الكافر سؤاله ويعطى المشرك سؤاله وذلك لأن إجابة السؤال ليست من آثار الألوهية ولكن من آثار الربوبية والربوبية عامة للجميع والله سبحانه وتعالى هو رب الخلق أجمعين لهذا إبليس سأل ربه فأجابه الله جل وعلا في سؤاله يعنى لما سأل التأخير إلى يوم القيامة لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا القليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفورا وغير ذلك من الآيات : قال ربي أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين والكافر أيضاً يسأل فيجاب فأفراد الربوبية منها إجابة السؤال ومنها الرزق إن الله جل وعلا يرزق ، ومنها معافاة المرض فقد يسأل الكافر ربه أن يعافيه من المرض فيجاب السؤال . يسأل الكافر ربه جل وعلا أن يرزقه فيجاب في سؤاله سواءً كان مضطراً أو غير مضطر والاضطرار صفة زائدة فإذاً قوله جل وعلا يسأله من في السماوات ومن في الأرض هذا لأجل ربوبيته سبحانه لهم فإن الجميع يتوجهون إليه بالسؤال وقوله كل يوم هو في شأن كل هذه لما أضيفت إلى اليوم الذي هو ظرف زمان انتصبت على الظرفية كما هو مقرر في موضعه في النحو وقوله كل يوم هو في شأن ذكر لك بعض الآثار

في ذلك والأحاديث المرفوعة أن من شأنه سبحانه وتعالى أن يغفر ذنب إلى آخره . يعنى كل يوم هو في شأن تنوع أفعال الله جل وعلا من إعطاء الأرزاق والمعافاة من الأمراض ومغفرة الذنوب والصحة وإعطاء الولد والتيسر إلى الخير وصرف الشر والأذى ونحو ذلك . فالله جل وعلا يجيب من سأله فهو سبحانه وتعالى يدبر أمر هذا الملكوت وأمر الخلق فهو يأمر وينهى في ملكوته ويأمر بالأشياء الكونية العامة وكذلك يأمر بما فيه صلاح المخلوق وينهى عن أشياء في كونه وكذلك فيما فيه صلاح المخلوق . فالله جل وعلا أفعاله في تدبيره لملكوته لا تنتهي وهذه مرتبطة بكلماته الكونية جل وعلا لهذا كلماته الله الكونية لاتنفذ ولو كام البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذ كلمات الله كما قال جل وعلا قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البجر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وكذلك قوله جل وعلا في سورة لقمان ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله يعنى الكلمات الكونية لأنه سبحانه كل يوم هو في شأن فيأمر وينهى ويدبر أمر هذا الملكوت فيغفر ذنباً ويجيب سؤالاً ويعطى محروماً ويشفي مريضاً وينبت زرعاً وينزل غيثاً ويرسل عاصفاً إلى آخره . فكل هذه بكلمات الله جل وعلا الكونية وأوامره في ملكوته تنفذها ملائكة الرحمن جل وعلا فهو سبحانه كل يوم هو في شأن .

بسم الله الرحمن الرحيم

 سنفرغ لكم أية الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من

أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطن * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل وعلا سنفرغ لكم أيّة الثقلان كلمة سنفرغ السين تدل على أن ما هدد الله جل وعلا به سيكون قريباً وهو وقوع القيامة والحساب والعذاب على الكافرين , والنعيم للمؤمنين لأن حرف السين يدل على تنفيس قريب وليس بعيداً وكلمة نفرغ لكم أية الثقلان الفراغ لا يكون من شغل سبقه دائماً بل من سنة العرب في كلامها أن العظيم أو القوى إذا أراد أن يُهدد في شيء اقتضت حكمته أن يؤخره فإنه يقول سأفرغ لك مع أنه ليس في شغل عنه والله سبحانه وتعالي لا يشغله شأن عن شأن ولا حال عن حال بل لو أراد أن يعذبهم أو يهلكهم فإنه سبحانه لا يشغله شيء عن شيء جل وعلا لكمال قيوميته وقهره وجبروته فإذاً كلمة سنفرغ لكم هذه تدل على عظمة الله وجبروته وقوته سبحانه وقدرته وكمال قهره لخلقه وليست كما قد يتبادر أنه سبحانه في شغل عن إرسال العذاب عليهم أوإقامة القيامة والساعة وهذا مر معك كلام ابن كثير ونقول طيّبة في هذا المعنى وذلك في الأصل أن الفراغ في قوله سأفرغ لك لا تدل على شغل قبله وإنما يقولها العظيم إذا أراد أن يُرهب وأن يخوف والفراغ المقصود به هنا : سنفرغ لكم يعنى في حسابكم يوم القيامة وعذابكم ونزول النكال بكم قال سنفرغ لكم أيُّه الثقلان والثقلان

تثنية ثقل والمراد بالثقلين الجن والإنس وهذا هو الذي عليه أهل التفسير عامة لأمرين .
الأول : أن الحديث جاء في حديث المدفون إذا ضرب بمرزبة من حديد قال : فيسمعه كل شيء إلا الثقلين الجن والإنس فجاء تفسيرها فيه وفي الرواية أيضا الأخرى فيسمعه كل شيء إلا الإنس والجن . وهذا تفسير في الروايات وأيضا تفسير في الحديث نفسه فإذا جاء تفسيرها في السنة أن المراد بالثقلين الجن والإنس .
الثاني : أن الثقل هو الجمع العظيم الذي يثقل معه الشيء والجن والإنس يعمرون الأرض فهي بهم ثقيلة ولذلك قال جل وعلا في ذكر القيامة وإخراج الناس من قبورهم قال وأخرجت الأرض أثقالها يعنى الناس الذين دفنوا فيها فهم ثقل أثقلوا الأرض لكثرتهم ولكونهم يسكنون الأرض والتخصيص هنا سنفرغ لكم أيُّه الثقلان لأجل التخويف والإرهاب وخشية الرب جل وعلا في تحصيل الاستعداد ليوم القيامة وخص الثقلين بالفراغ هنا لأنهم . لأن الثقلين مكلفان يعنى التكليف للجن والإنس .
أطال الكلام على قوله بل قبلها   يا معشر الجن والإنس أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان هذا المقصود به يوم القيامة يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض يعنى يوم القيامة فتفرون من العذاب ومن الحساب فافعلوا فإنه لن يحصل لكم ذلك إلا بسلطان من الله جل وعلا وهو الإذن منه سبحانه والقوة الخاصة وذلك أن يوم القيامة تحرس الأرض وتتغير الأرض والسماوات تنزل الملائكة

ويحيطون بأهل الموقف ويكونون صفوفاً جاء في الآثار أنها سبعة صفوف ولا يستطيع أحد ممن في الموقف أن يفر كما قال جل وعلا يقول الإنسان يومئذ أين المفر فلا مفر كما قال سبحانه فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين وكما قال أيضاً جل وعلا :   إلى ربك يومئذ المستقر يعنى يستقر كل أحد فلا يستطيع أحد الهروب .

المقصود أن قوله   يا معشر الجن والإنس هذا خطاب للجن والإنس لأنهما المكلفون إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا يعنى يوم القيامة لا تنفذون إلى بسلطان والآية هذه استدل بها في هذا العصر على بعض ما يتصل بالفضاء وبالذهاب إلى طبقات السماء الدنيا ونحو ذلك من الاستدلالات التي تعلمونها ووجه ذلك أنه قال لا تنفذون إلا بسلطان .

 إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وتفسيرها بهذا فيه نظر ظاهر وذلك أن الذي جاء في السنة أن الجن يركب بعضها بعضا شياطين الجن وأنها تذهب في السماء بعيداً حتى تستمع لبعض الوحي فيدركها الشهاب ، والشهاب ليس محله المكان القريب من الأرض وإنما محله السماء الدنيا العالية ولهذا الشهب بالاتفاق ليست في الغلاف الجوي في للأرض هي فوق ذلك ثم هي تدخل أيضاص ربما دخلت الأرض فأصابت من أصابت . المقصود أن ذهاب الجن في هذا الوقت إلى السماء هذا يدل على النفوذ حاصل يعنى نوع النفوذ لكنه ليس نفوذاً كاملاً وسياق الآية كله في يوم القيامة , وهذا هو

الذي ذكره لك ابن كثير فيما سمعت وهو الظاهر في سياق الآية وانه ليس المراد بها الدنيا .
 يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وهى تدل أيضاً على أن النفاذ ليس ممتنعاً لأنه علقه بوجود السلطان فالمراد كما ذكرت لك أن الآية في القيامة وهو الهرب في ذلك اليوم وآلا يات سياقها في الوعيد والتهديد مما يحصل للكافرين .
قال جل وعلا يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران سمعت الآثار والخلاف في قوله شواظ ونحاس والكلام فيه بما هو واضح لكن ننبه هنا إلى ما ساقه ابن كثير من طرف رواية نافع بن الأزرق عن ابن عباس في تفسير الآيات بالشعر وهذه المسالة وهى تفسير الآي بالشعر مما اختلف فيه العلماء المتقدمون فمنعه قوم وأجازه الأكثرون , والذين منعوا ذلك كابن فارس اللغوي وجهوا هذا المنع بأن القرآن هو الأصل وأن فهم القرآن لا يستدل عليه بالشعر لأن الشعر أقل مرتبة يعنى ولا يسوغ إنشاده مع القرآن لأن الله جل علا نزه نبيه أن يكون شاعراً وكذلك القرآن ليس بالشعر فجعل الشعر مع القرآن في نسق واحد قالوا : : هذا مما ينزه القرآن عنه فالاستدلال على المعنى بالبيت على معنى الآية بالبيت والبيتين إذا كان ثم وضوح بدونه فهو الأولى عنده .
القول الثاني : أن الاستدلال على معاني الآي بأبيات العرب أنه لا بأس به وذلك لأن أسئلة نافع بن الأزرق قائمة على هذا الأساس في الاستشهاد على صحة المعنى بوروده في كلام العرب وذلك أن نافع

بن الأزرق وهو من رؤوس الخوارج أراد أن يسأل ابن عباس عن آيات من القرآن على أن يذكر له مصادقها من كلام العرب يعنى ما يصدق تفسيره من كلام العرب وابن عباس ذكر له التفسير ثم ذكر الدليل على تفسيره من أبيات العرب فدل فعل ابن عباس على جواز الاستشهاد على صحة المعنى بكلام العرب وقالوا : إن هذا له أصل أيضاً آخر وهو أن عمر أوصى بديوان العرب كما هو معروف في القصة المشهورة لما تلا سورة النحل وجاء عند قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم فسأل ما التخوف ؟ فقال رجل فقال : يا أمير المؤمنين التخوف عندنا أوفى لغتنا التنقص وساق قول الشاعر :

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً   كما تخوف عود النبعة السفن

يعنى أن الرحل تنقص من السنام من كثرة ما يحك في السنام .

تخوف يعنى تنقص فقال عمر : عليكم بديوان العرب يعنى الشعر فإن فيه معاني كلام ربكم . فاستدل بهذا على جواز الإنشاد وهذا القول الثاني هو الذي عليه أئمة التفسير ولهذا تجد أن ابن جرير رحمه الله يورد الكثير من الأبيات في بيان معاني الآي .

س :

التفسير صح لكن فيه على أي حال فيها إثبات للصفة يعنى هي من آيات الصفات كل شيء هالك إلا وجهه يعنى لا ما أريد به وجهه بقيت صفة الوجه فعلى أي تفسير هو المراد به الصفة فإما أن نقول : كل شيء هالك تفسرها بالموت ، والهلاك على

المخلوقات ويبقى ربنا جل وعلا وكل شيء هالك إلا وجه الرب جل وعلا يعنى إلا هو سبحانه وتعالى فيكون تفسير الهلاك يعنى بالهلاك الذاتي أن الله جل وعلا يهلك الأشياء . أو أن كل عمل فهو هالك وذاهب على صاحبه لا ينفعه إلا ما أريد به وجهه سبحانه وتعالى وأخلص فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

 فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي آلاء ربكما تكذبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واشهد أن لا إله إلا الله وأن وأشهد محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ...... أما بعد .

فيقول الحق وتقدست أسمائه فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا هذه يكثر مجيئها في القرآن بعد سياق وتأتي معها الفاء التي تُشعر بالفجائية فإذا هنا فيها فجاءة كقول القائل : خرجت فإذا الرجل يعنى أنه تفاجأ به وفي هذا لطيفة من جهة البلاغة وهى أن هذا الأمر يحصل فجأة دون مقدمات وهو انشقاق السماء وأنه إذا حصل ذلك فإنه يترتب عليه أنه لا يسئل أحد عن ذنبه لا ومن الإنس ولا ومن الجن وكأنه ترتب سريع يعنى هذا يتلو هذا مع أن بينهما مدة طويلة كما سيأتي .

ما يبعث على التأمل والالتفاف لهذا الخبر العظيم □
فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان □ انشقاق
السماء يعنى أنها تنفطر وتنشق وتتغير هيئتها كما
قال جل وعلا □ إذا السماء انشقت وأذني لربها
وحقت □ يعني أنها أذنت لربها فأطاعت أمره وحتى
لها أن تطيع أمر الجبار □ وانشقاق السماء ليس
على مرحلة واحدة بل هو يأتي على أشياء لهذا في
الآيات التي ذكر ابن كثير رحمه الله ليست هي على
باب واحد فثم انشقاق للسماء بين النفختين قال
جل وعلا □ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب
انتثرت □ وقال □ إذا السماء انشقت وأذنت لربها
وحقت □ وهنا □ فإذا انشقت السماء □ فهذه الحال
مؤذنة بتغير السماء وتبديلها وتغير الأرض أيضاً
وتبديلها كما قال سبحانه □ يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار □ فهذا
التغيير بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث فإن
تغيير المعالم , معالم الأرض ومعالم السماء وتفجير
البحار وتناثر الكواكب يكون قبل نفخة البعث وبعد
نفخة الصعق يعنى في الأربعين التي بينهما فيها
تحصل الأمور العجيبة وتتغير معالم الأرض وتتغير
معالم السماء , فهذا انشقاق وثم انشقاق آخر يكون
بعد اجتماع الناس في العرصات وهو المراد بقوله
جل وعلا □ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق للرحمن * وكان
يوماً على الكافرين عسيرا□ تشقق السماء بالغمام
هذا تشقق آخر لنزول الملائكة ثم أيضاً ثم تشقق
لنزول الجبار جل وعلا لفصل القضاء بين العباد فإذاً
قوله □ انشقت السماء □ هذا يعنى أنها تتغير فتكون
انفطرت متغيرة في لونها متغيرة في هيئتها متغيرة

في كواكبها ولك أن تنظر إليها على أنها الآن ليست بذات رتوق ولا ذات اختلاف لكن إذا كان يوم القيامة فإنها تختلف وتتناثر أجزاؤها , والسماء المقصود بها هنا فإذا انشقت السماء المقصود بها السماوات لأنها تتغير كما دل عليه قوله جل وعلا يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فالسماوات بأجمعها تبدل لأن الله جل وعلا يغير الحياة فيكون ثم أمر جديد في السماء وأمر جديد أيضاً في الأرض فإذا الآيات التي ساقها ابن كثير رحمه الله ليست على باب واحد بل هي في أحوال .
قوله فكانت وردة كالدهان سمعت الأقوال الكثيرة في معنى وردة وتمثيل ذلك وتشبيهه بالدهان . والمقصود منها يعنى ما يجمع هذه الأقوال أن حصول الانفطار والانشقاق في السماء يكون على أنحاء وتغير في الألوان وليس دفعة واحدة بل أنها تذوب وتكون حمراء وتكون صفراء وغير ذلك من الألوان يعنى أنها في تلون الورد أو في تلون الغرس أو في تلون الفرس أو في نحو ذلك من الألوان المتغيرة . فليست على نحو واحد في تغيرها لذلك شبهها بالدهان , والدهان متغير الألوان , وأقوال السلف التي ذكرها تدور حول هذا المعنى قال فبأي آلاء ربكما تكذبان ذكر هذه الآية في سورة الرحمن وتكرار ذلك لأن الآلاء التي هي النعم نعم الرب جل وعلا ليست مختصة بما فيه قوام الإنسان في بدنه ومعاشه وكسبه ورزقه بل من أعظم آلاء الله جل وعلا ونعمه على عباده , أن علمهم القرآن وأن أنزل عليهم دينه وبعث إليهم رسله وأيضاً أن أخبرهم من نعمه أن أخبرهم بالجنة وما فيها , وبالنار وما فيها ومن نعمه أيضاً أنه

أخبرهم بما يكون يوم القيامة من الأهوال الشداد التي تبعثهم يعنى لو تأملوها بعين البصيرة لبعثتهم على أخذ العدَّة وعدم التهاون في الأمر العظيم لهذا نزول القرآن نبأ عظيم ﴿ عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون ﴾ وكذلك البعث والجنة والنار نبأ عظيم أيضاً هم فيه مختلفون .
وقال جل وعلا ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ فإذا آلاء الله جل وعلا ليست مختصرة على النعم الدنيوية بل أعظم الآلاء , وأعظم النعم القرآن وما فيه من الوعد والوعيد والبشارة والإنذار فإن هذا من أعظم نعم الله جل وعلا فنعمة الله الإسلام والقرآن والتذكر هذه آلاء تحتاج إلى شكر وإلى رعاية ولهذا صار من أعظم العقوبة أن يسلب المرء الاعتبار بآلاء الله جل وعلا , ومن أعظم الخذلان أن يخذل العبد فينظر إلى آلاء الله فلا يقيم لها وزناً وينظر إلى آيات الله فلا تحدث لها اعتباراً هذا قسوة في القلب , والقلب يقسو حتى يكون كالحجارة أو أشد من الحجارة قسوة فإذا كان كذلك فإن هذه الآية في هذه السورة وتكرارها تحتاج منك إلى تأمل في أن آلاء الله جل وعلا فيما أخبر عن صفاته وما أخبر عن الجنة والنار وعما يحدث يوم القيامة أنها لابد لها من وقفة وتأمل في نعمة الله أن قص ذلك , وما يحدثه ذلك القصص والخبر من حيطة وحذر أن يكون الإنسان مع الهالكين فلهذا تكررت في هذه الآيات التي فيها ذكر ما يكون يوم القيامة قال جل وعلا بعدها ﴿ فيومئذ لا يُسئل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ فيومئذ يعنى يوم انشقاق السماء وانشقاق السماء هو أحد ما يكون في اليوم

الآخر , واليوم الآخر يشمل ما بين نفخة الصور إلى استقرار أهل الجنة في الجنة جميعاً واستقرار أهل النار في النار جميعاً وباعتبار آخر يدخل فيه أحوال القبر يعنى من جهة الإيمان , الإيمان باليوم الآخر فقوله ﴿ فيومئذ ﴾ يعنى يوم انشقاق السماء وهو يوم طويل يوم واحد تحصل فيه أشياء كثيرة وهو خمسون ألف سنة قال ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه ﴾ يعنى مما يحصل في ذلك اليوم الذي تنشق فيه السماء .. أنه لا يسئل عن ذنبه أحد من المكلفين من الإنس والجن وهذه الآية سئل عنها ابن عباس رضى الله عنهما وهل فيها مخالفة للآيات الأخر التي فيها أنهم يسألون ويحاسبون وكذلك قوله ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ يعنى لا يحصل منهم نطق ولا اعتذار ولا معاذير ولا جواب ولا سؤال وذكر لك هنا ابن كثير أقوال السلف في هذا , وهى على أنحاء يعنى الأقوال مختلقة فمنهم يعنى من أهل العلم بالتفسير من المتقدمين والمتأخرين حمل هذه الآية على ظاهرها من عدم السؤال ويقولون أن المسلم والكافر جميعاً لا يسألون وإنما يقررون بأعمالهم وهذا معنى السؤال وهذا معنى الحساب أنه تقرير للأعمال كما جاء في الحديث ((عملت يوم كذا وكذا وكذا)) عملت دون هل عملت . عملت كذا وكذا وفي هذه الآية ينفى السؤال : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ فهذا قول من أقوال السلف وهو قول وجيه يعنى في هذه الآية لكنه لا يصلح تفسيراً لقوله ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾لأن ذلك في حال دون حال . والقول الثاني : فيما ذكره أن هذا في حال أنه تمر بالمكلفين في عرصات القيامة

أحوال فيحاسبون وتكون عرضتان جدال ومعاذير ثم الحساب ثم بعد ذلك لا يتكلم أحد من الجن والإنس كل يأخذ جزاءه وهذا كقوله جل وعلا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون والسؤال هنا عما كانوا يعملون ليس سؤال جواب وإنما هو سؤال تقرير وهذا هو الموافق لمعنى الحساب وهو تقرير العبد بأعماله حتى إذا نفي قال لا أعمل لم أعلم كذا وكذا قال الله جل وعلا له هل ترضى لك أو عليك شاهداً من نفسك قال نعم يا ربي فيأمر الله جل وعلا بدنه فينطق جلده وتنطق أعضائه بما كان يعمل كما قال جل وعلا ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ..... الآيات

فهذا نـوع مما يحصل يـوم القيامة وهو أن الحسـاب فيه تقرير الأعمال فثم تقرير للأعمال وسؤال بمعنى التقرير عملت كذا وكذا أو أعملت كـذا وكـذا بمعـنى إنك عملت هـذا الشـيء ليقـرر العبد وتكـون الحجة عليه قائمة .

والقول الثالث في الآية : أن عدم السؤال لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فهذا المراد به سؤال الذنوب وليس سؤال الحساب على ظاهر الآية لا يسأل عن ذنبه وإذا كان كذلك فكيف يعرف المذنب من غيره يعرفون بالسيمى بالعلامة كما قال جل وعلا بعدها يعرف المجرمون بسيماهم والمؤمن كذلك يُعرف بسمته قال الحسن وقتادة في سيما المجرمين يعرف المجرمون باسوداد

الوجوه وزرقة العيون وهذا أخذاً من الآيات في ذلك يعنى ليس اجتهاداً منهم بل من الآيات في ذلك كقوله جل وعلا □ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم □ فهذه سمة والسمة الثانية والعياذ بالله أنها تسود وجوههم كما قال سبحانه □ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون □ قال ابن كثير رحمه الله بعدها قلت وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء وهذا ليس على وجه الاقتصار يُعرفون بالغرة والتحجيل وأيضاً يعرف المؤمنون بغير ذلك فثم سيما كثيرة يعطيها الله جل وعلا لأهل الإيمان كما أن ثم علامات وسمات كثيرة يميز الله جل وعلا بها أهل الكفران والعصيان يعنى من الكفرة ذكر هنا الغرة والتحجيل وذلك على ما جاء في حديث أبي هريرة المعروف وأيضاً يعرفون ببياض وجوههم □ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون □ ويعرف المطيع بصفات كثيرة فإذاً قوله هنا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل ليس على الاقتصار عليه بل هذه سمة من السمات لكن اللي جاء في الآيات هذه □ يعرف المجرمون بسيماهم □ يعنى في تحديده بالمجرمين

بقى على قوله □ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان □ أن الحساب على كثرة المكلفين يكون دفعة واحدة في سرعة عظيمة كما قال جل وعلا في وصف نفسه العلية وهو يحاسب خلقه □ قال □ وهو أسرع الحاسبين □ فسبحانه يحاسب العباد لكن في سرعة يحاسب الجميع جميع الخلائق من الجن والإنس يحاسبون قال سبحانه بعدها □ يعرف

المجرمون بسيماهم والمجرم هو من قام به
الإجرام , والإجرام والجرم . الإجرام مصدر أجرم
يجرم من الجرام وهو الخطيئة والمراد بالخطيئة هنا
الشرك الأكبر والكفر لأن الأصل أن الموحد يعنى
من مات على التوحيد فإنه لا يعذب العذاب الأبدي
ولهذا ذكر جل وعلا بعدها قال هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون قال يعرف المجرمون ثم
قال يكذب بها المجرمون فمثل هذه الآية لا
يصلح الاستدلال بها على مطلق العصاة كما أنه ربما
استدل بها بعض الوعاظ ونحو ذلك لا يصح الاستدلال
بها على العصاة لأن هذه سياق الآية يدل على أنها
في المكذبين بالنار يعرف المجرمون بسيماهم
من هم المجرمون ؟ قال بعدها هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون والمسلم مادام أنه باق على
إسلامه ومعه بقية من إيمان فهو مصدق بالحنة
ومصدق بالنار لا يكذب بشيء من ذلك يؤخذ
بالنواصي والأقدام يعنى ُيجر تجر ناصيته يُدفع
ويجر بقدمه ويعذب أو تجمع هذه وهذه على الأقوال
التي سمعت والناصية مقدمة الإنسان والأقدام
معروفة جمع قدم وهى العضو المعروف يعنى
الرجل سميت قدماً لتقدمها الإنسان في مشيه .
 هذه جهنم جهنم من أسماء دار العذاب وهى النار
وهى سقر ولها أسماء كثيرة وتعداد الأسماء لتعداد
الصفات أو لتعدد طبقات النار فأسماء النار مختلفة
إما لتباين صفاتها وإما لتباين طبقاتها وهى دركات
كما أن الجنة درجات قال سبحانه : يطوفون بينها
وبين حميم آن يطفون بينها يعنى بين جهنم وبين
حميم آن والحميم الآن في جهنم وإذا هم منها وإليها
لا يخرجون منها أبد الآبدين والحميم الآن ذكر عدة

أقوال فيها ومن أجودها أن الآن هو شديد الحرارة المغلي كما هو قول الجمهور في تفسير الآية .

بسم الله الرحمن الرحيم

 ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ذواتا أفنان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيها عينان تجريان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم إن نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً اللهم فتقبل منا وأجب سؤالنا يا كريم ..... أما بعد .

فهذه الآيات العظيمة من هذه السورة الكريمة سورة الرحمن ذكر الله جل وعلا فيها ثمرة الإيمان والخوف من الجليل سبحانه وتعالى . فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان واللام هنا في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان هي لام الاختصاص لأن الجنة ملكاً لله جل وعلا وأما المخلوق المؤمن في الجنة . فالجنة له اختصاصاً يعنى خصه الله جل وعلا بها والخوف في قوله خاف مقام ربه الخوف درجات كما أن الثواب بالجنة درجات وقد ذكر لك الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى شيئاً في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي بكر أو نزلت في الرجل الذي خاف وهذه كلها لا تصح والصحيح أن هذه الآية عامة لا تخص بسبب نزول وإلا فالرواية في أنها نزلت في أبي بكر مشهورة فالخوف في قوله جل وعلا ولمن خاف مقام ربه جنتان الخوف المراد منه أنه خاف الشرك بالله جل وعلا فوحد الرب سبحانه وتعالى يعنى خاف أثر الشرك خاف عقاب

الشرك خاف العذاب خاف الله جل وعلا أن يغضب عليه إذا لم يُطع رسوله عليه الصلاة والسلام صار إذا الخوف المراد به أن كل من يدخل الجنة فلابد أن يكون خائفاً من الله جل وعلا وهذا هو الخوف الواجب على كل عبد فلا يحصل الإسلام ولا الإيمان إلا بخوف من الله سبحانه الذي هو أصل الخوف يعنى مطلق الخوف فلابد منه ولكن أهله بعد ذلك فيه درجات عظيمة يعظم في قلوب بعض العباد حتى يخاف أن يهم بالشيء مما لا يرضى الله جل وعلا أو أن يقصر في شيء أمر الله جل وعلا به فالمقصود من ذلك أن الخوف في هذه الآية كما هو معتقد أهل الحق أنه درجات ليس الناس فيها سواء وبعضهم أكثر وأعظم فيه من بعض فالجنتان اختصهما الله جل وعلا لمن خاف . لهذا ذكر لك ابن كثير رحمه الله أن جنتين لأهل اليمن وأن جنتين للمقربين وكل من أهل اليمين والمقرّبين لابد له من خوف من الله جل وعلا وأهل اليمين منهم المقتصدون وأيضاً منهم من ظلم نفسه فغفر الله جل وعلا له فطهره الله سبحانه وتعالى لأن أصناف الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف , صنفان في الجنة وصنف في النار فاللذان في الجنة ما أخبر الله جل وعلا به في سورة الواقعة فذكر طائفة المقربين . وذكر أهل اليمين وهذا هو الذي يدخل في قوله جل وعلا ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنه سابق بالخيرات بإذن الله فالمقتصدون هو أعلى أهل اليمين مرتبة وأيضاً الظالم لنفسه غفر الله جل وعلا له أو طهره بذنوبه فعاقبه في الدنيا أو في البرزخ أو في عرصات القيامة أو بعذاب النار أو

كفرت عنه سيئاته بأنواع من المكفرات هؤلاء عندهم خوف من الله جل وعلا حملهم على الإسلام حملهم على محبة النبي وعلى طاعة الله جل وعلا في الجملة لهذا فإن الخوف مقامات والجنان متنوعة وأهلها ليسوا سواء في الجنة بل بعضها فوق بعض .

وأما قوله مقام ربه فابن كثير رحمه الله أعرض عن معنى مقام ربه يعنى ما المراد بمقام ، مقام ربه الميم هنا أو يعنى في قوله مقام هذه ميم المصدر الميم في بعض الأقوال ويكون المعنى ولمن خاف قيام ربه هذا هو القول الأول فيها ولمن خاف قيام ربه ويعنى بقيام الله جل وعلا ما دل عليه قوله سبحانه فمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يعنى قيامة سبحانه وتعالى على كل نفس وأنه الحفيظ جل وعلا وأنه القيوم وذلك يفضي إلى يعنى معرفة ذلك والعلم به يفضي إلى مراقبته سبحانه وتعالى فإذا يكون هنا القول الأول . أن المقام بمعنى قيام الله جل وعلا على كل نفس فمن استحضر هذا وعظمه فإنه يخاف الله جل وعلا فذكر الشيء يعنى القيام كسبب للخوف يعنى خاف لأجل أن الله قائم على كل نفس فاستعظم ذلك واستحضره فخاف ربه جل وعلا من أن يقصر في فرائضه أو أن يقتحم محارمه .

القول الثاني : أن معنى مقام ربه هو مقام العبد بين يدي ربه سبحانه كما دل عليه قوله جل وعلا يوم يقوم الناس لرب العالمين يعنى خاف قيامه بين يدي الله جل وعلا وحساب الرب له سبحانه وتعالى .

والقول الثالث : هو أن مقام الله بمعنى عظمة الله سبحانه وتعالى أو ما يستحقه جل وعلا فالمقام يطلق ويراد به ما يستحقه صاحب المقام أو عظمة المقام فيكون معنى ولمن خاف مقام ربه يعنى لمن خاف عظمة ربه جنتان وهذه ثلاثة أقوال لأهل العلم وكلها متقارب دل عليه ما دل من آيات القرآن الكريم .
وقوى الأول بذكر الربوبية بعده لأن قيام الله جل وعلا على كل نفس بما كسبت هذا من آثار ربوبيته سبحانه على عباده ولذلك هنا ذكر الربوبية لمناسبتها لهذا المعنى وهذا الاينافي أيضاً القولين الآخرين .
هاتان الجنتان . ذكر لك ما رواه البخاري وغيره قال : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وليس بين القوم بين أن يروا ربهم جل وعلا إلا أن يكشف الرداء أو الحجاب .
الجنة معروفة . لكن هنا وقفة لماذا خصت . لماذا جُعل للخائف من الله جل وعلا جُعلت له جنتان . وليست جنة واحدة هذا فيه تأمل من جهة المعنى وليس ثم ما يقطع به في هذا الباب لكن ذكر بعض أهل العلم من جهة الحكمة أو الدلالة اللطيفة أن الخائف حمله خوفه على إصلاح باطنه وعلى إصلاح ظاهره . على إصلاح باطنه خوفا من الله جل وعلا المطلع على القلوب وعلى اصطلاح ظاهره خوفاً من الله جل وعلا المحاسب للجوارح فجعل الله سبحانه وتعالى جزاءه نعيماً في جنتين لظاهره وباطنه .
 فبأي آلاء ربكما تكذبان استدل بهذا على أن الجن يدخلون الجنة وهو استدلال في محله . والجن مكلفون فيدخلون في عموم الآيات التي فيها وعد

المكلف إن أطاع ربه جل وعلا أن يدخل الجنة وقال بعض العلماء أن الجن في الجنة يراهم الإنس ولا يرون الإنس بخلاف ما في الدنيا . وهذه تحتاج إلى بحث في ثبوتها قال سبحانه ذواتا أفنان وفنن ومعنى الفنن وهو الغصن المورق المثمر ذو الخير الكثير والأقوال فيه متقاربة فالعرب تقول للشجرة عظيمة الخير أنها ذات أفنان والفنن الذي فيه الندى وفيه الطراوة والإثمار والإيراق والظل والخير والإعطاء فهذا متقارب فإذا ذوات أفنان يعنى أن الجنتين فيهما خير كثير والجنة كما سبق أن أوضحنا لكم هي المكان الذي كثرت أشجاره فالتفت وسترت أصحابها سترت أصحاب الجنة سترت الداخل فيها فهي ذواتا أفنان يعنى أن شجرها في فننه وأغصانه وفروعه ليس مما يشتبك ويكثر من دون نداوة وخير وثمر إلى آخره . فلهذا يكون ما بعدها كأنه تفسير للخير الكثير الذي في الأشجار وفي الفنن حيث قال فيهما من كل فاكهة زوجان ..... إلى آخره .
 ذواتا أفنان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان العينان في الجنة جريانها في هذه الآية والمراد به جريان الماء وأما الخمر والعسل وأشباه ذلك فتلك أنهار قال جل وعلا في سورة القتال مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير ءاسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه * وأنهار من خمر لذة للشاربين * وأنهار من عسل مصفى فهذه أنهار مختلفة . والنهر في شقه للمكان وفي استطالته يختلف عن العين فإذاً التفسير الذي ذُكر من أن العين يعنى أدخل الآية آية القتال هنا هذا ليس بجيد . بل النهر شيء والعين شيء آخر فالعين

هنا قال تجريان وفي الآية التي بعدها فيهما عينان نضاختان والنضخ والجريان صفة للعين وأما الأنهار فهذه تأتي من تحت العرش كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
قال فيهما من كل فاكهة زوجان وقال في الآية الأخرى فيهما فاكهة ونخل ورمان   فيهما من كل فاكهة هذه فاكهة تعم جميع أنواع ما يتفكه به والعرب تقسم الطعام إلى قسمين :
1 : ـ إلى طعام يتغذى به 2 : ـ وإلى طعام يُتفكه به
والتفكه به يعنى أنه ليس بأساسي بل هو لأجل تمام اللذة وتمام التنعم فالله جل وعلا ذكر أن من تمام نعيم هؤلاء الذين خافوا الله حل وعلا وخافوا مقامه وجعل مثواهم جنته أنهم لهم من كل فاكهة زوجان يعنى من كل نوع من الفاكهة زوجان يعنى نوعين هذا له شأن وهذا له شأن وهذه الأشياء مثل ما مر معك في كلام ابن عباس أنه قال في ذكر ما جاء في الجنة أنه قال : ما في الجنة من دنياكم إلا الأسماء . هذا على حقيقته في أن الاشتراك اللفظي ما بين ما يوجد في الجنة وما يوجد في دنيانا إنما هو اشتراك في أصل المعنى لتقريبه وإلا فإن الحقيقة مختلفة تماماً ولهذا قال ليس في الجنة من دنياكم إلا الأسماء يعنى أن الأسماء مشتركة والأسماء تحوي المعاني . والمعاني أيضاً مشتركة لكن الحقائق أو كمال المعاني مختلف تمام الاختلاف فالجنة فيها أنهار لكن أنهار ليست كأنهار الدنيا وإن كان اسم النهر يصدق عليها وكذلك فيها أشجار لكن ليست كأشجار الدنيا وإن كان اسم الشجرة يصدق

عليها وكذلك فيها كذا وكذا مما أعد الله فيها من النعيم لكن ما في الدنيا لا يقرب من ذلك أبداً .
فلهذا ضل بعض المفسرين وذلك تبع للفلاسفة وتبع لبعض مناحي الضلال إذ قالوا إن نعيم الجنة إنما هو تمثيل للنعيم وإلا فإن حقائق هذه الأشياء ليست موجودة .
قول ابن عباس . ما في الجنة من دنياكم إلا الأسماء يعني به الاشتراك اللفظي مع أصل المعنى ولا يعنى به أن الأسماء مشتركة والمعاني مختلفة وإنما النهر هو النهر والغرف هي الغرف والشجر هو الشجر والثمر هو الثمر والفاكهة هي الفاكهة يعنى في أصل المعنى معروفة فالألفاظ في اللغة والأسماء مشتملة على معاني وهذه المعاني لا تشترك فيها حقائق الأشياء يعنى أن الحقيقة مختلفة وهذا يظهر لك في أشياء من الدنيا فيسمى هذا عنب وذاك عنب مع اختلاف ما بينها في الوصف ويسمى هذا تمر أو رطب وهذا رطب مع اختلاف ما بينهما في الوصف وكذلك هذا حب وذلك حب مع اختلاف ما بينهما في الوصف فإذا ربنا جل وعلا جعل في الدنيا مثالاً لاختلاف الحقائق مع اتحاد الأسماء وما في الغيب مما سمى الله جل وعلا وأخبر عنه فإن الأسماء مشتركة والمعاني أيضاً مشتركة لكن تمام المعنى وحقيقة المعنى وحقيقة الشيء هذه تختلف اختلافاً كبيراً فيبين لك قول ابن عباس رضى الله عنهما أن الدنيا فيها الاختلاف مع الاتحاد في ا لأسماء ، وكذلك ما في الجنة الاختلاف بينه وبين ما في الدنيا من النعيم واللذات ، وما خلق الله جل وعلا من اختلاف عظيم جداً ن لهذا نقول إن معتقد أكثر المنتسبين إلى القبلة بل جل المنتسبين إلى

القبلة هو ما ذكره ابن عباس هنا وعلى هذا المعنى الذي ذكرت لكن هناك طوائف فسرت ذلك بالتمثيل ، وأن المراد من هذه الأشياء إنما هو تنشيط الإنسان تنشيط المكلف للعمل لأن هذه عنده هي أعظم اللذات وهذا من الباطل لأنه يفضي إلى إلغاء دلالات الكتاب والسنة وإلى أن كل ما فيها إنما هو للتخييل وللوهم ، وهؤلاء مردود عليهم في ضمن الرد على أهل الوهم والتخييل الذين يزعمون أن كل ما ذكر الله جل وعلا من الغيب إنما هو لأجل أن يحدث تخييل عند المكلفين فينشط في العمل وهذا من ابطل الباطل لأن الله سبحانه وعد ووعده حق ثم إن من القواعد المهمة في الشريعة في مقام الاستدلال وفي إثبات الأشياء أن كثرة الأدلة في باب تفضي إلى القطع بدلالته على ظاهره وهذا يحتاج إلى بيان وهو أن ما ذكر الله جل وعلا في القرآن من وصف الجنة ليس في آية واحدة أو وصف النار وعذابها ليس في آية أو في سورة أو في عشر أو في عشرين بل أكثر القرآن في ذكر الغيب ونعيم أهل الجنة ونعيم أهل النار وما يحصل في عرصات القيامة وكثرة الأدلة وتنوع هذه الأدلة يعطي أن الدلالة على وجود هذه الأشياء على ظاهرها أن الدلالة قطعية لأن كثرة الأدلة تقلل الاحتمال ولهذا يعتني أهل السنة والجماعة بخاصة في الباب الواحد بكثرة إيراد الأدلة فيذكرون في المسألة يعني من العقائد يذكرون دليلاً ودليلين وخمسة وعشرة كل ما في الباب يذكرونه مع أن العقيدة تثبت بدليل واحد لأجل أن الخبر الحق جاء من الله جل وعلا لكن كثرة إيراد الأدلة عندهم يقطع مورد الاحتمال الذي يحتج به الضالون أو احتمال

التأويل الذي نحى إليه طوائف وهذه مهمة في الرد على كل مخالف للحق في أي مسألة كثرة إيراد الأدلة من الكتاب والسنة تضيق عليه باب الاحتمال فإذا أورد دليلاً واحداً صاحب الحق قد يتعرض له المخالف بالتأويل أو بالاحتمال أو بأن دلالته كذا لكن إذا كانت الأدلة كثيرة وهذا من الكتاب ومن السنة فإن احتمالية قوة المعارض في التأويل أو في عدم التسليم فإن احتمال ذلك يضعف جداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

 متكئين على فُرشٍ بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان * فبأيٍ آلاء ربكما تكذبان * فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهنَّ الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء الإحسان إلا الإحسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .... أما بعد .

فهذه الآيات تتمة لما سبق الكلام عليه من ثواب أهل الخوف من الله جل وعلا حيث قال سبحانه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن صفة هاتين الجنتين . ومن صفة أهلهما قال جل وعلا متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان يعنى أن حالتهم من النعيم المقيم ومن الراحة ومن عدم التكلف أنهم في اتكأ على فرش هذا وصفها والاتكاء أصله في اللغة الاعتماد على شيء فيقال اتكأ على العصا اتكاء على فراش اتكأ على مخدة اتكأ على كذا فهي تأتي بالإضافة إلى شيء يعنى أنه

ينسب الاتكاء أنه على شيء ما وأما إذا أطلق الاتكاء قال اتكأ كان جالساً فاتكأ كان متكئاً فجلس أو هنا متكئين على فرش والفراش يكون تحت فهذا الاتكاء هل هو اتكاء مطلق أو على إحدى الجهتين هذا ذكر لك ابن كثير إشارة رحمه الله لبيان هذا الخلاف وهذا أصله مبحث لغوي والصواب فيه أن الاتكاء يكون علي إحدى الجهتين . يعنى يتكئ على جنبه الأيسر . أو يتكئ على جنبه الأيمن يعنى على جهته هذه أو على جهته هذه . ومن أهل العلم من أدخل صفة التربع في الاتكاء وهذه ذكرها ابن كثير هنا بقوله ويقال الجلوس على صفة التربع يعنى يقال : إن الاتكاء جلوس على صفة التربع وهذا التمريض من ابن كثير بقوله : ويقال في محله لأن هذه الصفة ليست ظاهرة في كونها اتكاءً إذا أطلق وإنما قد يقال يعني جلس معتمداً جلس أو قعد متكئاً على اليتيه أو متكئاً على جنبه أو متكئاً على يده ونحو ذلك فلما كان أصل الاتكاء الاعتماد أدخلوا صفة التربع فيه لأنه نوع اعتماد لكن ليس معنى كون الاتكاء اعتماداً أن يكون كل ما فيه اعتماد يقال له اتكاء ليس كذلك ولهذا كلام ابن كثير هنا في محله فلا يدخل على الصحيح صفة التربع في الاتكاء وإن قاله بعض أهل اللغة إلا إذا قيد بشيء أما إذا أطلق فإن مراد العرب الاتكاء على إحدى الجهتين قال جل وعلا مبنياً حالهم متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وفرش جمع فراش وهو فعال بمعنى مفعول يعنى مفروش ونكر هنا فرش فلم يضفها وإنما قطعها عن الإضافة ولم يُعرفها لفائدة في البلاغة وهى إطلاق المعنى لأن تنكير اللفظ يفيد إطلاق المعنى في أصول الفقه من أوجه التعبير عن

المطلق أن يكون نكرة في سياق الإثبات تحرير رقبة هذا مطلق لأن تنكير اللفظ يفيد إطلاق المعنى في الإثبات وأيضاً التنكير يُفيد لما أفاد الإطلاق فإنه يفيد السعة في تصور عظمة هذا المطلق لأنه كأنه قال : لك أن تتصور أو تتوهم كل ما في هذه الفرش من الصفات التي وصف باطنها بقوله بطائنها من إستبرق والبطائن جمع بطانة والعرب تقول فيما يلبس أو يجلس عليه له بطانة وظهارة والبطانة ما بطن والظهارة ما طهر مثل الشعار والدثار فالشعار ما بطن والدثار ما ظهر قال من إستبرق إستبرق كلمة عربية بالتعريب وإلا فأصلها فارس إستبره والعرب عربتها واستخدمتها في كلامها فكلمة إستبرق في أصلها ليست عربية ما هو الإستبرق ؟ الإستبرق حرير غليظ حرير معه ديباج غليظ ولهذا قال لك في تفسيرها هنا قال : في الإستبرق هو ما غلظ من الديباج قاله عكرمة والضحاك وقتادة لماذا ؟ لأن هذا هكذا هو في اللغة الأصلية يعنى في لغة أهل فارس وهنا بحث مهم وهو ما بحثه الشافعي رحمه الله وابن جرير الطبري وجماعة من المتقدمين ومن المتأخرين وهو أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين وهذا يعنى أن كلمات هذا القرآن ليس فيها شيء غير اللسان العربي فهل يقال أن ثم كلمة في القرآن أصلها ليس بعربي واستعملت على ذلك أم يقال كل ما في القرآن هو عربي المنشأ عربي الأصل وعربي الاستعمال والعلماء لهم في ذلك ثلاثة أقوال :

1 : ـ منهم من يمنع مطلقاً يعنى يقول ليس في القرآن إلا الكلام العربي لفظاً واشتقاقا واستعمالاً ومنهم من يقول يوجد في القرآن كلمات غير

العربية على ما هي في لغة أهلها والقول الثالث وهو الصحيح المنصور عند أهل التحقيق أن العرب داخلوا الأمم وأخذوا من كلمات غيرهم لكنهم جعلوها على نسق لغتهم فصارت من لغاتهم يعنى من لغات العرب بالاستعمال بالتعريب وأحياناً بالوزن والاشتقاق فهي وإن كان أصلها غير عربي فصارت عربية بالاستعمال واللغة بل اللغات تتداخل يدخل بعضها في بعض ويستفيد بعض الأمم من بعض في اللغات لأن الألفاظ موضوعة للمعاني فيكون لفظ وضع لمعنى في لغة وليس هذا المعنى موجوداً عند الفئة الأخرى مثل مثلاً ما غلظ من الديباج العرب ليسوا من أهل التنعم إنما أهل بادية عندهم الصوف وعندهم الوبر وعندهم أشياء مما يتعاطونه قد يكون القطن ونحو ذلك أما القطائف والحرير ونحو ذلك فإنما يجلب إليهم فكيف إذا كان على صفة خاصة فالكلمات من حيث هي توجد في لغات الناس وتنقل بحسب ما هو موجود , ثم العرب يعربونها بمعنى يجعلونها على وفق أوزانهم أو على ما يصلح للإستعمال والإعراب في لغتهم فتصير عربية لما عُربوها واستعملوها وإن كان أصلها ليس بعربي فإذاً القرآن نزل بلسان عربي مبين كما أخبر الله وهذا اللسان العربي هو الذي كانت العرب تتكلم به كانت تتكلم بألفاظ وهذه الألفاظ فيها معاني فما كانت تتكلم به العرب وهم حجة فيما يستعملون فالقرآن نزل به فإذاً هذا القول الثالث هو القول الصحيح المنصور وهذا لا ينافي بل يجتمع مع كون القرآن نزل بلسان عربي مبين .
هنا قال جل وعلا بطائنها من إستبرق البطائن وهى الداخلة يتكئ الإنسان على فرش بطائنها مما

غلظ من الديباج والقطائف والحرير ونحو ذلك فما فائدة ذكر البطائن هنا أن البطانة ما يباشرها الإنسان إنما هو يتكئ على ما ظهر فذكر الله جل وعلا البطائن بطائنها من إستبرق فلماذا ؟ ابن كثير رحمه الله نبه على هذا فقال : فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى هذا صحيح وظاهر من جهة البلاغة أيضاً لأن الذي يباشره من أنعم الله جل وعلا عليه بالجنة واتكأ إنما يباشر الظهارة . أما البطائن فهو لا يباشرها فلماذا ذكر البطانة يعنى كأنكم من نعيمها لا تدركون ولا تعرفون إلا البطانة التي لا تباشرونها بالاتكاء والجلوس . أما الظهارة فأنتم لا تعرفونها . فالبطانة هذه بطائنها من إستبرق الإستبرق هذا مما لا يستعمله إلا الملوك في زمانهم فإذا كان الباطن مما لا يستعمله إلا أغنى الناس والملوك في ذلك الزمان فالظهارة شيء لا يوصف فيبقى على إطلاقه ويبقى على تشوق النفس له وتعلق النفس . ويبقى على تعلق النفس به . وهذا كثير في القرآن يكون هناك تنبيه بالأدنى على الأعلى سواء في النعيم أو في غيره ليبقى ما لم يذكر على سعته وعلى إطلاقه وتعلق النفس به وهذا له صلة بالتأثيرات النفسية والتشويق والبلاغة لهذا ساق عن ابن مسعود عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر قال : البطائن من إستبرق وظواهرها من نور يعنى أن الظواهر لا توصف لا يمكن أن توصف .

قال جل وعلا بعدها وجنى الجنتين دان جنى الجنتين يعنى اللتين أعدهما الله جل وعلا لمن خاف مقام ربه . وقد يقال هناك مناسبة على قوله

بطائنها نذكرها لكم هناك مناسبة ولطيفة وهى أن الله جل وعلا أعد هاتين الجنتين لمن خاف مقام ربه والخوف باطن لأنه من عمل القلب فنبه بنعيم خاص وهو أنهم لأنهم يتكئون على فرش بطائنها من إستبرق مناسبة لعباده الخوف الباطنة التي قامت بها وهذه العبادة لها صلة بالظاهر . لأن الخوف من الله جل وعلا يُثمر الثمرات العظيمة في ظاهر حياة العبد في التزامه بالواجب وانتهائه عما حرم الله جل وعلا لهذا جمع في الآية ما بين ذكر البطائن أولاً لمناسبتها للخوف وذكر الظاهر بقوله وجنى الجنتين دان   لأن الخوف في قلوبهم ، خوف الباطن أثمر فقال سبحانه وجنى الجنتين دان الجني هو ما يجنى يعنى يجمع من الثمار أو غيرها ودان من الدنو وهو القرب حتى أن أحدهم أسأل الله الكريم من فضله لا يتكلف إذا اشتهى شيئاً من الطير أو من الفاكهة أو من الثمر لا يتكلف أن يتحرك , وإنما يدنو إليه فيأخذ ما يشتهى تناوله قال جل وعلا فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه الآية تكررت في السورة كما ذكرنا ولكن ذكرها هنا في سياق نعيم الجنة فيه التنبيه على أمر عظيم وهو أن كل هذا النعيم إذا حصل للعبد فهو من نعمة الله جل وعلا فهو من آلاءه ومن نعمه ومن فضله ومن إحسانه وهذا يدل على أن ما فعله العبد في هذه الدنيا من التوحيد ومن الطاعات واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام واستحق به الجنة إنما هو سبب وليس من جهة المقابلة يعنى أن هذا بهذا وإنما هو سبب من الأسباب .

وأجر له على عمله فهو إذا نعمة لأن عمله مهما بلغ فإنه لا يحصل عليه يعنى من جهة الجزاء والأجر

المتعارف عليه عند الناس لا يحصل على هذا الثواب العظيم عمل مائة سنة , عمل ستين سنة فهو يحصل على هذا النعيم الذي لا يوصف وأعلاه لذة النظر إلى وجه الله جل وعلا أبد الآبدين بما لا ينقطع فإذا ما ثم إلا أنه نعمة من نعم الله وفضل من فضله ومن آلائه جل وعلا وهذا يدل على أن العبد المؤمن إذا علم أن الجنة التي وعد الله جل وعلا هذه صفتها وهذا شأنها وأنها نعمة وليس العبد يستحقها استحقاق مقابلة فإنه سيبعثه ذلك على محبة خاصة وعلى تلذذ بالطاعة وعلى انكسار لله جل وعلا بما لا يكون مع غير هذا الاعتقاد لهذا تنتبه إلى نعمة مسداه من الله جل وعلا عليه ثم الثواب عليها نعمة فالهداية أصلاً نعمة أنزال القرآن نعمة مثل ما ذكر جل وعلا في أول السورة أنواع الهداية نعمة . قبول العمل وقبول الصالحات هذه نعمة وتفضل من الله جل وعلا ثم الإثابة على ذلك نعمة من نعم الله جل وعلا فأين يكون إذاً العبد لا مفر من الله إلا إليه فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وهذا يجعل العبد المؤمن الصالح لا يتكبر على ربه جل وعلا ولا على دينه ولا على سنة نبيه عليه الصلاة والسلام لا يكون ذا عجب بعمله وهو أشد ما يصيب الخاصة كذلك لا يحتقر الآخرين ممن لم يبلغوا عمله لأن أصل العمل والقبول والثواب نعمة من نعم الله جل وعلا فقد يبارك الله سبحانه وتعالى في عمل فلان القليل جداً ولا يبارك في عمل فلان الكثير لأسباب وهذا كله يجعل العبد يتواضع مع السعي الحثيث في طاعة الله جل وعلا ومن ذلك المقامات العالية من العلم والتعليم والجهاد في سبيل الله تعالى لا يكون

ذلك إلا مع التواضع عند أهل اليقين . وأهل العلم بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته قال سبحانه بعدها ﴿ فيهم قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ قاصرات الطرف وصف لنزاهتهن وحسن نظرهن بطرفهن فهن مقصورات في النظر على أزواجهن وقاصرات الطرف هؤلاء من نساء الجنة يعنى أنهن من الحور العين أو من نساء الجنة وليسوا من نساء الدنيا لأن الله جل وعلا قال بعدها ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جاّن ﴾ لأنهن من نساء الجنة وقوله ﴿ لم يطمثهن ﴾ يعنى إزالة البكارة التي معها خروج الدم . وهذه الآية استدل بها على دخول مؤمن الجن الجنة وهى ظاهرة في قوله ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ فالإنس والجن مكلفون فالتفريق ما بين المكلفين في دخول الجنة هؤلاء يدخلون وهؤلاء لا يدخلون أو هؤلاء لذتهم كذا وهؤلاء لذتهم كذا هذا التفريق في الأصل يحتاج إلى دليل على أن هؤلاء كذا وهؤلاء كذا والنصوص من الكتاب والسنة في التكليف جاءت في تكليف الجن والإنس جميعاً . وكذلك النصوص في الثواب هي للمكلفين من الإنس والجن جميعاً ولهذا يقول الله جل وعلا بعدها ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ يعنى الإنس والجن جميعاً فمؤمنوا الجن يدخلون الجنة كما هو قول جمهور العلماء ويستمتعون بما فيها من المتاع مثل ما جاء في الأثر أن الإنس في الجنة يرون الجن والجن لا يرونهم عكس ما في الدنيا .

قال جل وعلا في وصف النساء ﴿ كأنهم الياقوت والمرجان ﴾ وهذا لأجل تمام الحسن في وصفها بالجواهر الكريمة التي تستحسنها العرب لصفائها وندرة وجودها وحسن لونها إلى آخر ذلك .

قال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان هل هنا مع إلا للحصر يعنى كأنه قال إنما جزاء الإحسان الإحسان والله جل وعلا يثيب العبد من جنس عمله يعنى في القاعدة العامة والأصل العام فمن عفي عفي عنه . ومن أحسن أحسن إليه ومن رحم رحمه وهكذا والإحسان المذكور في هذه الآية   هل جزاء الإحسان إلا الإحسان   الله جل وعلا لا يحسن العبد إليه ولكن يحسن عبادته وإحسان العبادة هو المقصود كما قال سبحانه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة حتى الجنة صارت حسنى لأنها جزاء الفعل الحسن والإحسان تنوعت عبارات العلماء في ضبطه .

والإحسان له مراتب : أدني مراتب الإحسان أن يأتي بالتوحيد الواجب عليه وأن ينتهي عن الشرك وأن يعبد الله جل وعلا بما شرعه رسول الله يعني أصل العبادة يعني جنس العبادة لا في كل مسألة مسألة فهذا الإحسان من أتي به استحق دار الحسنى واستحق الجنة . ثم هو مراتب . إلى أن يصل العبد إلى أعلى مراتبه وهى أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله حل وعلا يرى العبد . ومن المراتب المشهورة في الإحسان ما جاء في قول الله جل وعلا ليبلوكم أيكم أحسن عملا يعنى أن يكون العمل خالصاً صواباً فالناس فيها مراتب بإخلاص العبادات وكونها على الصواب وكذلك في إخلاص أنواع القربات من الفرائض والنوافل من العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله جل وعلا هذه كلها تحتاج إلى إخلاص وإلى متابعة للنبي عليه الصلاة والسلام فيها فإذاً الإحسان جزائه الإحسان

والإحسان لما كان متنوعاً صار أيضاً الإحسان متنوعاً لما كان الإحسان في الأصل مراتب صار أيضاً إحسان الله جل وعلا للعبد الذي قوبل بالإحسان الأول صار مراتب مختلفة لأن الله جل وعلا جعله بالجزاء هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فكلما كان إحسان . جازى الله العبد أو جزى الله العبد إحسانا بمقابلته . وهذا يعطيك السعة في تنوع إحسان الرب جل وعلا يوم القيامة لعبده في الجنة بتنوع إحسان العبد في الدنيا .

وهذا سبب اختلاف المراتب في الجنة وأن الجنتين اللتين ذكرهما الله جل وعلا تختلف أيضاً درجات أهلها والصفات إلى آخره في تحقق ما ذكر ربنا جل وعلا ولا شك أنه من الواجب على كل أحد أن يسعى إلى إحسان العمل لأن العبرة بصحة العمل وإن قل . وحسنه وإن قل لا بكثرته كما قال أبو الدرداء يقول ولا مثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم من أمثال الجبال عبادة من المغترِّين العبد المؤمن إذا كان عمله على الصواب والإخلاص وإن كان قليلاً وإن كان مثقال ذرة فالله جل وعلا يباركه وينميه للعبد وأما إذا كان كثيراً لكن يشوبه والعياذ بالله الرياء أو العجب أو التكبر أو تفضيل النفس عن الغير أو نحو ذلك فهذا يؤتي العبد من هذه الجهة وفي قوله في آخرها فبأي آلاء ربكما تكذبان ما في الآية الأولى من أن كل ما في الجنة تفضل ونعمة وكل ذلك من آلاء الرحمن

س :

ج : الأرقام هذه قصتها طويلة وفيها كتب مؤلفة وأصل العرب ما تعرف الأرقام العرب ما تعرف الأرقام تعرف الرقم بالعقد واحد اثنين ثلاثة أربعة

خمسة بهذا ثم تعمل كذا يدل على عشرين ثلاثين ، اثنين وثلاثين كلها باليد ولذلك جاء في الحديث في صفة قبض الأصابع في التشهد قال (فعقد ثلاث وخمسين) عقد ثلاث وخمسين يعني هذا جاءت هنا ثم أشار أو عقدها ومدَّ الإصبع هذا عقد ثلاث وخمسين فالعرب لا تعرف الأرقام المكتوبة هذه ثم لما توسعت الحضارة الإسلامية خاصة في أواخر القرن الأول وبداية الثاني وكثرة الأموال احتاجوا إلى ضبط يعني إلى الأرقام بالكتابه يعني رقم يرسم مثل الحرف يرسم للدلالة عليه فأيضاً الرقم احتاجوا إليه فسألوا أهل الرياضيات عندهم في ذلك الزمان فذكروا لهم أن أهل الهند يستعملون أرقاماً فطلب منهم أنهم ينقلون أرقام أهل الهند فكلف أكثر من شخص فمنهم من نقلها على صورة الأرقام المستعملة الآن الأرقام اللي الآن واحد اثنين على ها الشكل اللي تعرفونه عندنا يعني هنا وهي أقرب من حيث الشكل إلى الأرقام الهندية ومنهم يعني من الذين سعوا في أجداث الأرقام من نظر نظرة هندسية لها من جهة الزوايا جعل الرقم يدل على محتواه بعدد الزوايا فيه ، واحد فيه زاوية واحدة يعني اللي كذا ، واثنين فيها زاويتين ، وثلاث فيها ثلاث زوايا وأربع فيها أربعة زوايا ثم خمس فيها خمس زوايا إلى آخره بحسب اجتهادهم في ذلك الزمان لكنه ما شاع استعمال هذه الأحرف اللي تسمى الآن إنجليزية الأرقام اللي تسمى الآن إنجليزية ما شاع في ذلك الزمان إلا في أنحاء من الدول الأندلسية يعني انتقل إلى المغرب في الدولة الأندلسية وأما الدولة المشرقية يعني دولة بني العباس ، ما شاعت فيها ها الأرقام ، وإنما شاع فيها

الأرقام المعروفة الهندية تطاول الزمان ثم قيل طبعاً الغرب وأوربا ما كانت تعرف الأرقام لا هذه ولا هذه يعني كان لهم أرقام يونانية مختلفة في رسمها ويمكن تشوفونها أحياناً في بعض الساعات ولا شيء أرقام مختلفة في يعني شكل الرقم مختلف أخذوا الأرقام العربية في الأندلس هذه هي اللي تسمونها الآن إنجليزية أخذوها إلى أوربا وصارت إنجليزية فهي مأخوذة أصلاً من الترجمة من ترجمة رياضة للأرقام الهندية هذه لها قصة طويلة المقصود الآن إذا نظرنا للأصل فهي كلها عربية وإذا نظرت للاستعمال صار العربي عندنا هو الأرقام المعروفة عندنا فلذلك يقال لا تستعمل غيرها العربي نظراً إلى الحالة الموجودة إلى ما تعارفه الناس لأن ما كل واحد تقدر تشرح له تقول والله ويفهم إن هذا أصلها عربي وإن أصلها يعني هندي وحطوها بالشكل هذا قد ما يفهمون هذا الشيء فلذلك يكون استعمالها له صفة المتشابهة أو استعمال لغة الغرب مع أنه أنا عندي أن واسع سواء استخدم هذه أو استخدم هذه الأمر واسع وهو موجود الآن في بلاد المغرب استعمال الأرقام اللي تسمى أرقام انجليزية موجودة من قديم إلى الآن يستعملونها حتى في كتابتهم لكن الواحد يدرج على ما لا ينكر والأرقام هي للدلالة فيها كفاية .

س :

ج : النساء يعني من أهل الجنة كل امرأة تدخل الجنة فلها زوج من الأنس يعني سواء كانت متزوجه في الدنيا أو ليست متزوجه فالله جل وعلا يزوجها بأنسي يعني ممن يدخل الجنة هذا قاله بعض أهل العلم على الحديث اللي سمعتم في الصحيحين أول

زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر لكل منهم زوجتان بعضهم قال من نساء الدنيا لا من نساء الجنة وبالمناسبة الحديث اللي سمعتوه اللي هو (أو زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر) تنتبه لهذا اللفظ على صورة القمر يعني على صفة القمر لأن الصورة في اللغة هي الصفة الصورة في اللغة تطلق ويراد بها الصفة على صورة القمر يعني على صفة القمر من الوضاءة والحسن والنور إلى آخره ، القمر يعني البدر ليلة التمام يعني أنهم فيهم من النور والوضاءة والسرور ما يشع ويظهر .

س : ليست الهيئة ؟

ج : لا ما هي الهيئة ، ليست الهيئة فقط ، يعني الصورة يراد بها الصفة ، التصوير يعني جعله على صفة ما صور الله جل وعلا الإنسان يعني جعله على صفته يعني صفة في خلقه وفي تقليده .. ألخ

س :

ج : يعني من حيث العدد ليش ؟ لا ما هو بشرط أنسية ربما أكثر ليش خصصته بأنسية يعني تقول أنه يمكن النساء أكثر ، بعض العلماء قال نساء الجنة أكثر من الرجال فهذا لا يخالف أن أكثر أهل النار النساء فقوله أكثر أهل النار النساء يعني أن النار النساء فيها أكثر من الرجال لكن هل يفهم من ذلك أن الجنة الرجال فيها أكثر ما يفهم من ذلك على كل حال هذه مسكوت عنها يعني ما في دليل نصير إليه حجة ، من عمل صالحاً فلنفسه هذا بعد ما يستحق القتل والملحمة يقل الرجال جداً حتى يكون لأربعين أمرأة رجلاً واحداً .

س :

ج : قاصرات الطرف هم ، لكن حور مقصورات في الخيام يعني ما يتعدونها لكن قاصرات الطرف يعني أن طرفهن قاصر لا يتعدى أزواجهن إلى غيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

 ومن دونهما جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * مدهامتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضاختان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن خيرات حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * حورٌ مقصورات في الخيام * فبأي آلاء ربكما تكذبا * لم يطمسهن أنسٌ قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متكئين على رفرف خُضرٍ وعبقريٍ حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * تبارك اًسم ربكً ذي الجلال والإكرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .... أما بعد .

فأسأل الله الكريم لي ولكم التوفيق للصالحات والعفو عن السيئات وأن يجعلنا من الأبرار المقربين وأن لا يحرمنا فضله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ثم في هذه الآيات من آخر سورة الرحمن فيها ذكر ثواب المؤمنين أهل اليمين وهم المقتصدون الذين أتوا بالواجبات وتركوا المحرمات أو من ظلم نفسه وتاب أو غفر الله جل وعلا له أو كفر الله جل وعلا عنه سيئاته فقال سبحانه في ذكر ثواب هذه الطائفة ومن دونهما جنتان ومن دونهما يعني دون الجنتين السابقتين اللتين أعدهما الله جل وعلا لأهل

الخوف منه ولأهل الإحسان فقال فيها ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال في آخرها هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فالجنتان الأوليان للسابقين بالخيرات لأهل الإحسان الذين أحسنوا العمل ظاهراً وأحسنوا العمل باطناً أحسنوا العمل ظاهراً بالمتابعة وأحسنوا العمل باطناً بإخلاص القصد والنية وابتغاء وجه الله جل وعلا بالعمل قال ومن دونهما جنتان وكلمة دونهما دون كلمة دون في اللغة تطلق على غير وتطلق على الدونية في المعنى وعلى الدونية في المكان فمن الأول الآيات التي فيها عبادة دون الله جل وعلا يعني غير الله جل وعلا ومن الثاني وهو الدونية في المعنى أن يقال الصحابة دون النبي عليه الصلاة والسلام والتابعون دون الصحابة وهكذا يعني في ما اتصفوا به من صفات وما لهم من الفضل والمزية والثالث دونية المكان فيقال يعني في اللغة المدينة دون مكة لأهل العراق يعني أنهم يأتونها أولاً فهي أقرب والمراد بقوله تعالى ومن دونهما جنتان ، المعنى الثاني وهو الدونية في المعنى والمنزلة وقد يكون أيضاً أنها دونية في المكان باعتبار الداخل الجنة وأن أهل الجنتين الأوليين في ارتفاع وأهل الجنتين الأخيرتين دون ذلك يعني في المكان فإذاً قوله جل وعلا : ومن دونهما جنتان نفهم منه أن الجنتين الأوليين أرفع وأفضل وأعظم من حيث المكانة ومن حيث المكان ومن حيث النعيم ومن حيث أهل ذلك النعيم الذين استحقوه برحمة الله جل وعلا وفضله وذكر لك ابن كثير الدلائل التي دلت على هذا المعنى في عدة شواهد ودلائل في وصف الجنتين الأوليين قال جل وعلا : ومن دونهما جنتان * فبأي آلاء ربكما

تكذبان * مُدّهامّتان وأصل هذه الكلمة في لغة العرب وما اشتق منها مثل الدهمة والأدهم ونحو ذلك هو اشتداد السواد واشتداد السواد في النبات معناه اشتداد الخضرة لأن سواد كل شيء بحسبه ولهذا اجتمعت تفاسير السلف على أن قوله مدهامتان يعني شديد الخضرة من الري ومن الجمال والعرب تفاخر بري البساتين وري الأشجار باشتداد خضرتها فإذا كانت الخضرة مشتدة وكانت الجنة دهماء فإنه هذا يدل على شدة عناية صاحبها بها وعلى فضلها على غيرها .

فإذاً التفاسير التي ذكرها متقاربة يعني شديدة الخضرة من الري فيها نعومة جمال نضرة هذه متقاربة ، قال سبحانه بعدها فيها عينان نضاختان ومرَّ معنى كلمة العين وما تدل عليه ونضاختان ، النضخ مرتبة في خروج الماء ما بين النضح وما بين الجريان فالمراتب ثلاث : ـ

1ـ فإذا كانت العين يستقي منها بكلفة فيقال أنها نضح ، والنواضح هي التي تخرج ما في البئر من الماء أو كانت قليلة الماء

2ـ أما إذا كانت تنبع إذا كانت تنبع بالماء فيقال لها تنضخ لشدة خروجها

3ـ فإذا كانت أكثر من ذلك كانت تسيل على وجه الأرض يقال تجري ولهذا فضلت العينان السابقتان على هاتين لأجل الفرق بين النضخ والجريان .

فهناك فيها عينان تجريان وهنا فيها عينان نضاختان ثم قال جل وعلا بعدها فيهما فاكهة ونخل ورمان والعطف هنا نخل ورمان هذا كما قال من باب عطف الخاص بعد العام لأن كلمة فاكهة من حيث الجنس يشمل الرمان ويشمل ثمر

النخل وهو الرطب وفي الجنتين الأوليين أو في الوصف السابق قال جل وعلا فيهما من كل فاكهة زوجان وهذا في العموم أكثر وأعظم وخاصة أنه ذكر الزوجين هنا قال فيها فاكهة ونخل ورمان وتأخير المبتدأ هنا فاكهة وما عطف عليه ونخل ورمان لأجل التنكير يعني في النحو وفي البلاغة التأخير والتنكير فيه فوائد متعددة من ضمنها كما ذكرت لك اطلاق المعنى لتفخيمه ولمعرفة علو شأنه وهذا أيضاً مما يدل على أن ما في الجنة من النعيم أنه لا يقدر قدره ولا خطر على قلب بشر لأنه قال فيها فاكهة وهذه الفاكهة لا حد لها ونخل ورمان لكن نخل لا كالنخل ورمان لا كالرمان ومر معك قول ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من دنياكم إلا الأسماء وما ذكرنا لك من التعليق عليه ثم قال جل وعلا فيهن خيرات حسان   فيهما فاكهة ونخل ورمان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن خيرات حسان وكلمة خيرات جمع خير وللسلف فيها تفسيران :

الأول : إبقائها على عمومها وهي الدلالة على كل خير ، كل ما فيه خير وفيه خيره وجمال لصاحبه يختاره ويريده ويكون خيراً له مما عداه فإنه يدخل في عموم ذلك لكن هذا قول .

القول الثاني : أن المراد بالخيرات النساء من الحور العين من نساء الجنة وهذا الثاني هو الأشهر الذي عليه الجمهور وهو الذي يدل عليه قوله حسان وكذلك قوله في الآية التي بعدها حور مقصورات في الخيام فإذاً الأظهر أن قوله فيهن خيرات حسان أن الخيرات الحسان نساء الجنة من الحور العين والحسن ، الحسن يختلف عن الجمال

فالحسان يعني أنهن ذوات حسن والفرق بينهما أن الحسن ذاتي والجمال قد يكون ذاتياً وقد يكون مجلوباً وهذا قاعدة سواء ما في القرآن أو ما في اللغة أو في النضرة إلى الجمال بعمومه والجمال ليس خاصاً بالذوات يعني في الشرع بل الجمال في الذوات وفي المعاني قال النبي عليه الصلاة والسلام لما سأله الرجل فقال يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال (الكبر بطر الحق وغمط الناس ، إن الله جميل يحب الجمال) أو بالتقريب إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس فالله جل وعلا جميل من جهة الذات والأسماء والصفات والأفعال ولأجل التعدي صار الجمال موصوفاً به الرب جل وعلا دون الحسن لأنه أعظم وأبلغ وإلا فأسماء الله جل وعلا حسنى وأفعاله جل وعلا وصفاته جميلة سبحانه وتعالى ، الجمال يرجع إلى ما في الذات وما في المعاني من حسن وكذلك يرجع إلى ما جلبه الإنسان لنفسه من أنواع المحسنات ، من أنواع الجمال فمثلاً المنطق الحسن جمال قد يكون ذاتياً فيكون من الحُسن وقد يكون مجلوباً فيكون جمالاً وهذا كثيراً مثل ما ذكرت لك دلائل الحديث عليه (إن الله جميل يحب الجمال لأن ذلك الجمال جلبه الرجل بتحسين ثوبه وتحسين نعله قوله هنا فيهن خيرات حسان يدل على أن الحسن ملازم لهن وعلى أن الله جعلهن كذلك يعني من حيث الخلقة ثم قال سبحانه وتعالى بعدها فبأي آلاء ربكما تكذبان * حورٌ مقصوراتٌ في الخيام وفضلت الحور الأول على هذه بأن تلك قال فيها فيهن قاصرات الطرف فجعل قصر الطرف فعلاً

من هن لا فعلن بِهن وهذه قال فيها ﴿ مقصورات ﴾ يعني أنهن قُصِرنَّ في الخيام ولازم ذلك أنهن قصرن عن النظر إلى غير أزواجهن ولا شك أن هذا مزيد فضل يعتني به العربي ويعتني به صاحب الغيرة لأن من تمام لذته أن لا يرنوا طرف حوره وطرف من يستمتع بهن عنه إلى غيره قال ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ وهناك قال ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ ووصف الخيام ذكر لك ابن كثير عدة أحاديث فيها وأثار والخيام ليست كالخيام ، الخيمة اسم فقط أما حقيقة تلك الخيمة وكيفيتها فلا يقدر قدرها إلا الله جل وعلا لؤلؤة واحدة مجوفة أو تمتد كذا وكذا مسيرة أو بعضها محجوب عن بعض يعني الأمر عظيم قال جل وعلا بعد ذلك ﴿ حور مقصورات في الخيام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان ﴾ وهذا من تمام اللذة والسبق ثم قال ﴿ متكئين على رفرف خُضرٍ وعبقري حسان ﴾ هذه تفهم بالمقابلة مع الأول ذكر لك هنا اختلافهم ذكر اختلافهم في تفسير الرفرف وتفسير العبقري لكنها متقاربة وتفهم بالمقابلة مع الأولى لأنه قال جل وعلا في وصف الأول يعني في وصف الجنتين الأوليين قال : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان ﴾ وهنا قال ﴿ متكئين على رفرف خُضرٍ وعبقري حسان ﴾ فإذا قابلت بين هذه وهذه علمتَ أن الرفرف الخضر والعبقري الحسان أنه من نوع الفرش والزرابي والطنافس إلى آخره مما يجلس عليه المنعم أو يتكأ عليه أو يفترشه أو ينظر إليه ونحو ذلك ، العبقري هذه نسبة إلى مكان ما صنع فيه قيل له عبقري وزاد أو توسعوا حتى جعلت للمتميز في كل شيء المتميز من الرجال

يقال له عبقري والمتميز من الأساس يقال له عبقري والمتميز سواء كان من هذه الجهة أو من غيرها فإذاً قوله وعبقري حسان يشمل كل ما تميز يعني الجنة ليس فيها شيئاً منسوب إلى البلدة هذه أو إلى الجملة هذه عبقر وإنما على التوسع في أن العبقري كل ما زاد في الجمال أو كل ما تميز على غيره فالرجل يوصف بأنه عبقري إذا كان متميزاً على غيره في الحنكة والذكاء والدربة ونحو ذلك فغذاً كل ما ذكره ابن كثير يدخل فيها لأجل عموم اللفظ أو عموم المعنى تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام هذه الآية ختم الله جل وعلا بها السورة ولختم السورة بها مناسبة فيما يظهر وذلك أن كل ما ذكر في هذه السورة هي من فيض بركات الله جل وعلا وذلك أن تعليم القرآن الذي ذكر في أولها الرحمن علم القرآن هو من فيض بركات الله جل وعلا وبركة أسمائه سبحانه وتعالى أيضاً فاضت آثارها على خلق الله جل وعلا وصارت مباركة لابن آدم وهذا الفعل تبارك هو كتعاظم من جهة اللزوم ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تبارك قال : كتعاظم أو تعاظم وذلك لأن كلمة تفعل قد تكون من جهتين وقد تكون للزوم فالمراد بأنها تعاظم أو كتعاظم المراد بها اللزوم أن اسم الله جل وعلا أو أن الله جل وعلا تبارك ومعنى تبارك أي كثرة بركته وعظمت والبركة هي الخير الكثير الثابت الدائم ولهذا ما وصف الله جل وعلا إنساناً بأنه تبارك ولا يصح أو ما يجوز أن يقال تبارك فلان لأن كلمة تبارك تعني عظمة البركة وكثرة البركة وهي لزوم الخير ودوامه وهذا ليس إلا إلى الله جل وعلا فلا يسوغ أن يقال تبارك فلان أو

تباركت علينا يا فلان أو نحو ذلك من العبارات لأن هذه مما اختص الله جل وعلا به وهي التي جاءت في القرآن تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا   تبارك الذي بيده الملك   تبارك الذي له ما في السماوات   تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ونحو ذلك والآيات كثيرة في هذا يعني في قصر تبارك على رب العالمين أما العبد فيبارك فالله جل وعلا تبارك وصفاته أيضاً سبحانه وتعالى مباركة ومنها القرآن العظيم فالقرآن مبارك وهذا ذكر مبارك أنزلناه يعني أن خيره كثير ودائم لا ينقطع وبعض مخلوقات الله جل وعلا جعلها الله مباركة أيضاً فبارك على إبراهيم وعلى إسماعيل وعلى إسحاق وقال جل وعلا وباركنا عليه وعلى إسحاق يعني على إسماعيل وإسحاق ريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين وقال جل وعلا في الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها والأرض المباركة من ذلك إذاً فالبركة من الله جل وعلا هو الذي يبارك وأيضاً ما يصح أن نقول يبارك فلان أو تبارك هذا العمل أو نباركه ، نباركه يعني هكذا بالتعدية أو نبارك فيه يعني تدعوا بالبركة هذا لا بأس لكن تباركه هل أنت تبارك هذا العمل ، العمل نباركه أو هذه الأعمال نباركها بمعنى نوافق عليها أو أرضاها أو أشجع عليها هذا لا يصح لأن الذي يبارك هو الله جل وعلا فإذاً الإنسان المخلوق مبارك يباركه الله جل وعلا يعني يجعله مباركاً الأرض يجعلها الله جل وعلا مباركة الإجتماع يجعله الله جل وعلا مباركاً الإنسان المسلم أيضاً فيه بركة كل مسلم فيه بركة بقدر ما فيه من الأعمال الصالحة والصدق مع الله جل وعلا المقصود أن قوله هنا

تبارك اسم ربك هذه كلمة تبارك مما يختص بالله جل وعلا وبأسمائه سبحانه وتعالى كلمة تبارك اسم ربك اسم هذه تتردد في القرآن أن يتجه الفعل إلى الاسم لأن تبارك اسم ، اسم فاعل ، تبارك وتارة تكون مفعول سبح اسم ربك الأعلى وهذه للعلماء فيها وجهان :

الأول أن المراد بالاسم المسمى ويكون تبارك اسم ربك يعني تبارك ربك :   سبح اسم ربك الاعلى يعني سبح ربك الأعلى

والثاني : أن المراد الاسم ودلالة الاسم على المسمى واضحة لكن المراد الاسم :   تبارك اسم ربك يعني أن الأسماء مباركه سبح اسم ربك يعني نزه أسماء الله جل وعلا عن النقص والأول أشهر والثاني الظاهر يدل عليه .

قال ذي الجلال والإكرام يعني أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالجلال والإكرام ، والجلال الهيبة والعظمة وما يدخل في معنى القهر والجبروت ونحو ذلك فأسماء الجلال لله جل وعلا كل اسم يشتمل على معنى الهيبة والجبروت والقهر والتصرف وأشباه ذلك مثل اسم الملك : مالك مثل القهار الجبار مثل القدير مثل الخافض الرافع الباسط القابض المانع المذل المعز المذل النافع الضار ونحو ذلك هذه أسماء جلال فيها اللي تعطي الخوف والهيبة من الرب جل وعلا ومراقبته والخوف من عذابه وخزيه ، الجلال ملازم ذي الجلال يعني المستحق لأن يجل هو جليل سبحانه وتعالى ومن أسمائه الجليل وهو مستحق أن يجل فلا يعصى جل وعلا يعني يخاف منه ويعظم فلا يعصى الرب تبارك وتعالى قال بعدها والإكرام لأن الإجلال الجلال قد

يكون لرهبة وخوف ويعني إجلال العبد لربه رهبة وخوف ومراقبة وهيبة وذل ولا يكون مع ذلك إنعام فلا يكون للعبد فيه إنس لكن إذا كان هناك جلال وإكرام صار مع الخوف إكرام من الله جل وعلا للعبد فيكون هناك الخوف فيه إنس وفيه قرب وفيه محبة ولهذا جمع بينهما في آخر هذه السورة العظيمة .

النبي أمر بملازمة ذا الجلال والإكرام بملازمة يا ذا الجلال والإكرام فقال في الحديث الذي ذكر لك ابن كثير أنه عليه الصلاة والسلام قال (الظوا بيا ذا الجلال والإكرام) ياذا الجلال والإكرام يعني ألزموها وسأكثروا منها في الدعاء لظَّ بالمكان يعني لزمه ولظَّ فلان بفلان يعني لزمه لغرض أو لأداء حقه ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام يعني ألزموا هذا الدعاء يا ذا الجلال والإكرام والصواب أن هذا الحديث صحيح وأن الرواية التي ذكرها الترمذي رواية الحسن مرسلاً هذه لا تؤثر فيمن رواه موصولاً فالحديث صحيح كذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان يستعمل أو يدعو بعد الصلاة المفروضة بقوله (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام أو تباركت ذا الجلال والإكرام وهما روايتان وهذا من ملازمة يا ذا الجلال والإكرام حتى في الثناء على الله جل وعلا إذاً فهذا الوصف العظيم أن الله سبحانه وتعالى هو ذو الجلال والإكرام يلازم في الثناء على الله سبحانه وكذلك في الدعاء وهذا يشمله قوله (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام ففي الثناء قال (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) ومسلم رحمه الله في الصحيح قدم رواية يعني بإسقاط الياء

(الله أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام على التي فيها يا ذا الجلال والإكرام وكأنها أقوى يعني بإسقاط (يا) وإلا فالمعنى واحد لأن تباركت ذا الجلال يعني يا ذا الجلال والإكرام وكلها صحيحة لكن كأن مسلماً رحمه الله في سياقه للدعاء بعد الصلاة يرجح ذا الجلال والإكرام بدون (يا) وهذا آخر تفسير هذه السورة سورة الرحمن جعلنا الله وإياكم من أهل الجنان وأعاذنا من نزغات الشيطان إنه جواد كريم .

الأسئلة

س: هل يجوز أن نقول للواحد أنت رجل مبارك ؟

ج : نعم إذا كان كل مسلم فيه بركة البركة نوعان :

1ـ بركة ذاتية 2ـ بركة عملية

البركة الذاتية : يعني أن يكون الجسم الذات نفسها مباركة من حيث البدن والجسم والأجزاء ونحو ذلك وهذه ليست إلا للأنبياء والمرسلين يعني في شريعتنا أو للنبي وحده هو الذي ذاته مباركة فيتبرك بشعره يتبرك بعرقه عليه الصلاة والسلام ، يتبرك بأجزاء بدنه بلباسه إلى آخره فاجزاء بدنه عليه الصلاة والسلام مباركة لذلك يتبرك به هذه بركة ذاتية ليست لأحد من الصحابة إنما هي للنبي عليه الصلاة والسلام .

أما البركة الثانية : هي بركة العمل ، بركة العمل هذه لكل مسلم مثل ماروى البخاري في الصحيح لحديث ابن عمر المعروف أن النبي قال (إن من الشجر شجرة بركتها كبركة المسلم) والرواية الثانية التي في الصحيح أيضاً (إن من الشجر شجرة مثلها مثل المسلم وهذه الرواية بركتها كبركة

المسلم أيضاً في الصحيح إيش بركتها كبركة المسلم يعني أن خيرها كثير دائم ما ينقطع إلا بالموت المسلم خيره وعمله ونفعه للناس ونفعه لأخوانه المؤمنين ما ينقطع إلا بالموت يعني المسلم الحق فقوله بركتها كبركة المسلم فيه اثبات أن كل مسلم فيه بركة ومعلوم أن بركة المسلم ليست ذاتية فيتبرك بأجزائه لا أحد يقول أن كل مسلم يتبرك بذاته وأجزائه وإنما هذه بركة عمل بالاتفاق كذلك ما جاء في حديث التيمم نزول آية التيمم أن أسيد بن حضير قال لعائشة رضي الله عنهما ليست هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر يعني لما انقطع عقد عائشة وظلوا يبحثون عنه تطيباً لخاطر زوج النبي عليه الصلاة والسلام فانتهى الماء فنزلت آية التيمم فصار هذا من بركة صدق أبي بكر وصدق آله وقربهم من النبي المقصود أن البركة نوعان :
بركة ذاتية وهذه للنبي عليه الصلاة والسلام وحده ومعناه أنه يتبرك بأجزاء بدنه وشعره عليه الصلاة والسلام يعني ما وجد من ذلك بيقين فلا بأس من التبرك بها
والنوع الثاني البركة العملية ، البركة العملية بركة علم ،بركة صلاح , بركة صلاح بركة سعي في الخير هذه ممكن نقولها للمسلم هذا من بركة فلان يعني من بركة عمله الصالح من بركة فلان أنكم اجتمعت عندي يعني من بركة صلته من وعمله الصالح وقربه ومحبته لإخوانه ، الاجتماع على الذكر وعلى الخير ونحو ذلك ونظائر هذا متعددة مثلاً فلان أعاد الله علينا من بركته نقول البخاري رحمه الله أعاد الله علينا من بركته هذه بركة علم لا بركة ذاتية بركة علم ونفعنا ببركة علومه هذه بركة علم فالمسلم

عمله الصالح فيه بركة وكذلك علمه فيه بركة وهذه لها تفاصيل .
س : هل يجوز إطلاق مبارك على هذا الكتاب ؟
ج : إذا كان فيه الكتاب والسنة فكل كتاب فيه ذكر الله جل وعلا فهو مبارك يعني فيه خير إذا كان ملازم للكتاب والسنة ما فيه بدع ولا فيه ما ينهى عنه ففيه خير كل مسلم مبارك ، بركته كبركة المسلم كل مسلم مبارك وكذلك عمل المسلم الصالح مبارك ، الأرض تكون مباركة يعني أن خيرها كثير ما فيها من العلم والجهاد أو من العبادة أو نحو ذلك .
س : هل يقال تبارك القرآن ؟ باعتباره من صفات الله جل وعلا ؟
ج : ما جاء في الكتاب والسنة في علمي كلمة تبارك القرآن ما جاء ولكنها لو قيلت الظاهر أنها ليست غلط لكنها ما جاءت الله جل وعلا جعل القرآن مباركاً وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون وقال كتاب أنزلناه إليك مبارك فالقرآن مبارك وقال تبارك الذي نزل الفرقان جعل تبارك له سبحانه وتعالى بسبب إنزاله للقرآن .
س : هل معناه كثير خيره ؟
ج : كثير الخير دائمه الثنتين كثرة الخير ودوامه .
س : إذا كان واحد يهنأ إنسان على النجاح هل نقول مبارك أو نبارك ؟
ج : مبارك اسم المفعول ليس مبارك ، مبارك ما لها معنى ، مبارك أنت مبارك فتقول جئت مباركاً يعني مباركاً لك يعني داعياً لك بالبركة لكن نقول له مثلاً مباركاً النجاح ، مبارك الهداية ، مبارك هذا العمل

الطيب ، مبارك يعني أن الله جل وعلا جعل فيه البركة وجعل فيك البركة .

س : اسم الله الجليل هل ورد فيه نص .

ج : لا استحضر الآن نراجعها إن شاء الله .

س : قول بعضهم بعض الصلاة تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ؟

ج : والله ما دري اللي نحفظها اللي في الصحيح تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، إيه أقول اللي في الصحيح ، ما فيها يمكنها في السنن يقول الأخ في الترمذي .

س : ما وجه استدلال أهل السنة بذي الجلال والإكرام أن ذي المقصود بها الذات

ج : يعني أنه ذي هذا نعت لربك ، نعت لربي واضح وايش الثانية ؟

وجه الله جل وعلا ذو الجلال ، ذو جلال ، وجه الله جل وعلا ذو جلال إيش الإشكال ، ما فهمت الإشكال ؟

س : قولهم ذي المقصود بها الذات ؟

هو ما هو بالذات هنا نعت فيها ﴿ تبارك اسم ربك ذي ﴾ ربك مضاف ، مضاف إليه صحيح ؟ ربك مضاف إليه ، مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة الظاهرة وهو مضاف والكاف أيضاً في محل جر بالإضافة هنا ﴿ ذي الجلال والإكرام ﴾ ذي الجلال هذا نعت لربي واضح ، والآية الأولى ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وعلى أنها نعت للوجه فالله جل وعلا وجهه ذو جلال وإكرام وكذلك هو سبحانه وتعالى ذو جلال وإكرام وبالنسبة للوجه بخصوصه قد تضاف إليه الأشياء لأن الوجه عند العرب دلالته كدلالة الذات ﴿ كل شيء هالك إلا

وجهه يعني إلا هو سبحانه وتعالى أو إلا ما أريد به وجهه سبحانه وتعالى ، ما فيه فرق بينهما .

تم تفسير سورة الرحمن في فجر الخميس 23 / 7 / 1419 هـ .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .